باب المراثى

١٨٠

قافية الألف

وقال يَرثى خالدَ بنَ يزيد الشَّيبَانى :

١ نَعَاءِ إلى كُلِّ حَىٍّ نَعَاءِ
فَتَى العَرَبِ احتَلَّ رَبْعَ الفَنَاءِ[1]

الأول من المتقارب والقافية متواتر .

١ ـ (ع) : «فَتَى العَرَب اختطَّ ربعَ «الفَنَاءِ» . «نَعَاءِ» كلمة فى معنى الأمر ، وهى مبنيَّة على الكَسر ، نَعَاءِ فُلانًا أى انعَوْه فقد هَلَك ، قال الكُميت :

نَعَاءِ جُذَاماً غيرَ موتٍ ولا قَتلِ ولكنْ فِراقاً لِلدّعائمِ والأَصْلِ

وأصل «النَّعْى» رفعُ الصوتِ بالشىء ، يقال نَعَى فلانٌ على فلانٍ فِعْلًا قبيحاً إذا أظهرَه عليه ، ومن ذَلك نَعِىُّ الميِّتِ ونَعْيُه ، وأكثرُ ما يقولون جاء نَعِىُّ الميِّتِ ، قال النابغة :

فعَمًّا قليلٍ ثُمّ جاء نَعِيُّهُ فباتَ نَدِىُّ القَوْمِ وهْوَ يَنُوحُ

وإذا قال القائلُ نَعاءِ جاز أن يكون أمَر نفسَه أو غَيرَه ، وأن يكون الأمرُ لِغيره أوقعُ ، لأنك إذا قلتَ حَذَارِ الأسدَ فإنما تُريد أن تُحذِّر غيرَك منه ،

(١) قال الصولى : بعض من لا يدرى ينشد هذه القصيدة موقوفة وليس بشىء .

ولا يَمنع أن يُحمل على أمر النفس وذلك قليل ، وجاء فى التنزيل «وَلْنَحْمِلْ خَطَاياكم » ، ونحوٌ منه قولُ الشاعر :

لا أَعْرِفَنْ رَبْرباً حُورًا مَدَامِعُها كأَنَّهنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دُوَّارِ[1]

والهمزة فى «نَعَاءِ» مُنقلِبةٌ عن ياء لأَنَّه من نعيتُ ، قال الشاعر :

إذا جاوَزْتُما سَعَفاتِ حَجْرٍ وأَوديةَ اليَمَامةِ فانعَيانى

والعامَّةُ يثبتون الياء فى بيت الطائى كأَنهم يعتقدون الإضافة وذلك رديءٌ جدًّا فى القياس ، لأَنَّ قولكَ حَذَارِ وما جرى مجراها لا تُضاف إلاَّ أن تخرجَ عن بابها ، لأَنها واقعةٌ موقعَ الأَمر إذْ كان المفعولُ يقع بعدها ، قال الفرزدق :

نَعَاءِ ابنَ لَيْلى للسماحةِ والنَّدَى وأَضيافِ لَيْلٍ مُقفَعِلِّ[2] الأَنامِلِ

«وابنَ ليلى » منصوب بـ «نعاءِ » ، وكذلك الهاءُ فى قول الراجز :

* مَنَاعِها من إبلٍ مَنَاعِهَا[3] *

ومعنى « نَعَاءِ »و«مَنَاعِ » و «حَذَارِ »انْعَ واحَذرْ وامنَعْ ، فلا معنى للإضافة فيهن ، ولو كتبَ كاتبٌ «إضربْ » وكتب غيرُه مثلهَا فأَردتَ أن تُخبر عن ذلك لَأَبطلتَ المعنى الأَول فقلتَ «إضربْك » خيرٌ من «إضربْه » ، فكذلك نَعاءِ وحَذَارِ ، إذا أُضِيفتا نُقلتا من بابهما إلى بابٍ آخر ؛ وإنما حملَ بعضَ الناسِ على أَن يقولها بالياء إنَّ همزتَها قابلَتْ همزةَ «إلى » فاستقبلَتْها الهمزةُ المكسورةُ فثقلَتا على اللسان ، ففرَّ الناطقُ إلى الياءِ وغَرَّه اللفظ بـ «نعَاءِ »

---

(١) قال فى اللسان (مادة حور) : « الحور » التحير والنقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال والمراد هنا تحير الدمع .

(٢) قال فى اللسان « الاقفعلال » تشنج الأصابع من برد أو داء ، يقال اقفعلت يده إذا تقبضت وتشنجت .

(٣) جاء فى اللسان أن الكسائى زعم أن بنى أسد يفتحون مناعها ودراكها وما كان من هذا الجنس ، والكسر أعرف .

الثانية لأَنَّ فيها ياء الوصل فجعل الأُولى مثلَها فى اللفظ ، وإذا رُويتْ على ما يقول هولاء فلا سبيل لها إلى العمل ، ولا تخلو على روايتهم من أَحد وجهين : إمّا أَن تكون مكتفيةً بقوله : « إلى كل حىٍّ » فيكون العاملُ فى « إلى » فعلاً مضمرًا كما يقول الرجلُ قلبى إليك ويسكت ثم يبتدئ « بنعاءِ » الثانية فينصِبُ بها « فَتَى العَرَبِ » ويكون « نَعَاءِ » قد لحقتها ياءُ الوصل كما لحقت « حَذارِ » فى قول الراجز :

حَذارِ من أَرماحِنا حَذارِ[1]

أَوْ تَتركوا منْ دُونَكمْ وَبارِ

وإمّا أَن تكون « نَعاءِ » الثانية على مَذْهبهم مثل الأُولى ويكون قوله : « فَتَى العَرَب » ابتداءً وخبرُه « اختطَّ ربعَ الفناءِ » وتكون « نَعَاءِ » الثانية خبرًا للمبدوءِ بها فى أَول البيت ، ويُحتمل على هذا الوجه أَن يُنصب « فتَى العرب » بفعلٍ مُضمر كأَنه قال انعَى فتى العرب ، ويكون قوله : « اختطَّ ربعَ الفناءِ » فى موضع نصب على الحال إذْ كان جملةً ، ولا يمنعه من ذلك أَنَّ أَوّلَ الجملةِ فعلٌ ماض لأَنَّ الجملةَ لا يُراعَى فيها الفعلُ بل يكون مثلَ قوله تعالى : « أَو جاءُوكم حَصِرَتْ صُدورُهم » فقوله : « حَصِرتْ صُدُورهم » فى موضع الحال على بعض الأَقاويل ؛ ويجوز أَن تكون الجملة التى أَوّلها « اختطَّ ربعَ الفناءِ » خبرَ ابتداءٍ محذوفٍ كأَنه قال هو اختطَّ ربعَ الفناءِ . يُقال اختطَّ الرجلُ المنزلَ والقريةَ إذا احتَجنَها لنفسه ، وأَصلُ ذلك أَن يخطَّ حولَها خَطًّا لِيُعلمَ أَنه قد حازَها دون غيره . « والرَّبْع » المنزل ، ومَن روى « احتلَّ » فهو

(١) البيت لأبى النجم كما جاء فى اللسان (مادة حذر) وروايته فيه « أو تجعلوا دونكم » . وقال فى مادة « وبر » : ووبار مثل قطام أرض كانت لعاد غلبت عليها الجن فلم يعد يقربها أحد من الناس .

(افتعلَ) من حَلَّ بالمكان[١].

٢ أُصِبْنا جَمِيعًا بسَهْمِ النِّضَالِ
فهَلاَّ أُصِبْنا بِسَهْمِ الغِلاءِ ! !

٢ ـ يُقال تناضل الرجلان ، وناضل أحدُهما الآخرَ إذا رماه ، والطائى ذهب فى هذا البيتِ إلى أنَّ سهمَ النِّضالِ هو الذى يُرْمَى به العدوُّ الرَّامى ، وقد يُستعمل النِّضالُ فى تَرامى الرجلين على معنى الحرب ، قال أبو حَيَّة النُّميرىّ :

أَلاَ رُبَّ يومٍ لو رَمَتْنى رَمَيْتُها ولكنَّ عَهْدى بالنضالِ قديمُ !

يريد أنها رمَته بطرْفٍ كأَنَّها جرَحتْه . وقد يُستعمل « النِّضالُ » فى معنى تَرامَى القومُ لينظروا أَيُّهم أَجودُ لا على معنى المحاربة ، ومنه الحديث أنه مَرَّ بفتيانٍ يتناضلون فقال : « ارمُوا يا بنى إسماعيل فإن أَباكم كان رامياً » فهذا يَدلّ على أَنهم لم يكونوا فى حرب . وتستعمل « المناضلة » فى معنى المفاخرة كما قال الشاعر :

قد[٢] ناضلوك فسَلَّوا مِنْ كَنائنهم مجدا تليدًا ونَبْلاً غيرَ أَنكاسِ

« وسهم الغِلاء » هو من قولهم غاليتُ الرجلَ إذا رَمَى ورميتَ لتنظرَ أَيُّكما أَبعدُ موقعَ سهمٍ فى الأَرض ، يقال غَلاَ الرجلُ بسهمه غَلْوَةً إذا رمَى إلى غَرَضٍ لينظرَ ما قَدْرُ بُعْدِ الرَّمْيَة ، ويكون ذلك فى السهم والحَجَر قال الشمّاخ :

---

(١) جاء فى ظ قال الآمدى « نعاء » كلمة عربية مستعملة لكنها غير حلوة إذا ابتدئ بها ، وقد ابتدأ بها الكميت — وذكر الآمدى البيت الذى أورده التبريزى آنفاً — ثم قال : وكثيراً ما يبتدئ بها أبو تمام .

(٢) با : « هم ناضلوك » .

أَرِقتُ لهُ والصبحُ فى الشرق ساطِعٌ كما سَطعَ المِرِّيخُ شَمَّرَه الغالى[١]

ويروى «سَمّره» و «شَمَّرَه» ، وقال الأَفوَه :

كلُّ قوْدَاءَ كمِرْدَاةِ الغِلا وطِمِرٍّ سابحٍ فيهِ اقورارْ[٢]

أَراد مصدَر غاليت فقَصَر . [ع] والمعنى :أنا أُصبنا من هذا الرجل بالخَطر الجليل الذى كنا نعِده لِدفْع الأَعداء لأَن السهمَ الذى يُرمَى به العدوُّ أَعظمُ قَدْرًا من الذى لا غرضَ له فى رميه إلا أَن يُعلم مِقدارُ ذهَابه فى الأرض . [ص] يقول : أُصِبنا بأَعلى سادتنا فهلاَّ أُصبنا بمَن هو دونه .

٣ أَلا أَيُّها المَوْتُ فَجَّعْتَنا
بِماءِ الحَياةِ ومَاءِ الحَيَاءِ

٣ـ [ص] أَى كان يُعطِى بلا سوال[٣].

٤ فَماذَا حَضَرْتَ بهِ حاضِرًا
وماذا خَبَأْتَ لأَهْلِ الخِبَاءِ ![٤]

٥ نَعَاءِ نَعَاءِ شَقيقَ النَّدَى
إليهِ نَعِيًّا قَلِيلَ الجَدَاءِ

---

(١) قال فى اللسان (مادة شمر ومادة قدح) : شمرت السهم أرسلته ، وذكر بيت الشماخ هذا وروايته فيه : «أرقت له فى القوم والصبح ساطع» وقال : «والمريخ» السهم الذى يغالى به ، أو هو سهم طويل له أربع قذذ يضرب به المثل فى السرعة والمضاء .

(٢) «المرداة» الحجر ، وأكثر ما يقال فى الحجر الثقيل ، وتشبه بها الناقة فى صلابتها ، و «الطمر» بتشديد الراء الفرس الجواد ، وقيل المستفز للعدو والوثب ، وقيل الطويل القوائم الخفيف ، وناقة «قوداء» طويلة العنق والظهر ، و «الغلا» مقصور هنا من «الغلاء» يقال غاليته إذا راميته .

(٣) قال الصولى : «ماء الحياة» يعنى من كان الناس يقيمون حياتهم به ، و «ماء الحياء» يريد أنه يعطى بلا سؤال فيصون وجوه الناس عن الطلب بسبقه بالعطية . ورواه قوم «بماء الحياء» يريد المطر وقد مد مقصوراً وهذا جائز لولا مد المقصور ، وقد ذهب إليه قوم ، وما أنشده إلا كما رويت أولا .

(٤) قال الصولى : يخاطب الموت ، يقول ما صنعت بأهل البدو والحضر .

٥ – [ص] الهاء فى «إليه» لِلندَى . [ع] وقوله : «شقيقَ الندى» لأنه شُقّ نسَبُه منه فهو أخوه . و[فعِيل] ها هنا فى معنى [مُفاعِل] كأنَّه شقيق ومُشَاقٌ[1]، كما يقال جَلِيس ومُجالِس وقَعِيد ومُقاعِد. «وقليل الجَداءِ» أى الغَناء، قال الشاعر :

لَقَلَّ جَدَاءُ على مالكٍ إذا الحربُ حَشوٌ بأَجذالِها[2]

فأمّا «الجَدَا» مقصورُ فهو فى معنى العَطَاء والمَطر العام .

٦ وكانَا جَمِيعًا[3] شَرِيكَىْ عِنانِ
رَضِيعَىْ لِبَانٍ خَلِيلَىْ صَفَاءِ

٦ – يُقال شارَكه شِرْكَ عِنانٍ إذا شاركَه فى شىءٍ دونَ شىء ، «والعِنان» ها هنا كأنَّه فى معنى المُعانَّة ، كأنَّ كلَّ واحدٍ منهما عَنَّ له صاحبُه أى عَرَض ، كأنه مصدر عَان يُعَانُّ عِناناً ، مثل ضار يُضَارُّ ضِرَارًا . فأمّا شركة المفاوضة فهى شركة فى جميع الأشياء ، قال الشاعر :

وشاركنا قُريشاً فى عُلاَها وفى أبنائها شِرْكَ العِنانِ

يُريد أن منهم نساءً وُلدنَ فى قريش ، وقال بعض الناس إنما يُراد بـ«شركِ العِنان» أنهم مثلهم فى الشرف وإن كان أصلُه فى المال ، فأما شركة المفاوضة ففى التجارة . وإذا افتخر الشاعرُ فقال شاركناهم شِرْكَ العِنان فليس

---

(١) قال ابن المستوفى مستدركاً على أبى العلاء : قوله شق منه فهو أخوه ، أحسن من أن يكون مشاقاً له ، وقال أخذه من أشجع بن عمرو إذ يقول :

أنمى فتى الجود إلى الجـود ما مثل من أنمى بموجـود

ولكن قصر عنه تقصيراً ظاهراً .

(٢) فى با (بين السطور) : «حشت» . وحش الحرب يحشها حشاً إذا أسعرها وهيجها تشبيهاً بإسعار النار .

(٣) س : «زماناً» .

يُريد المشاركة فى نوع من الشرف دون نوع ولكن فى جميع ما يُذكر من السُّؤدد . وهو راجعٌ إلى معنى عَنَّ أى عَرَضَ . [ع] وقال قوم : شركة العِنان » أُخِذ من عِنان الدابة وهذا يَحسُن فى معنى الافتخار ، كأنَّه إذا قال شاركناهم شِرْكَ العِنان أراد إنَّا وإيَّاهم فُرْسَانٌ نشترك فى أعنَّةِ الخيل[١] . و« الشريكان » ... و« الرَّضيعان » و« الخليلان » فى معنى المُشاركيْن والمُرَاضِعيْن والمُخالِّيْن ، وقوله : « رَضِيعَىْ لبانٍ » يُستعملِ فى الإنس وكأنَّ « اللِّبان » مصدر لا بَنَهُ يُلابنَه لِباناً إذا رَضَع مِن لَبَن أُمِّه ، وربما أُخرِجَ إلى غير الإنس على التوسُّع والمجاز كما قال الفرزدق :

وأَنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغَدْرُ كنتما أُخيَّيْن كانا أُرضعِا بلبانِ

لمَّا جعلَ الذئبَ امرءًا جازَ أن يُخبر عنه بما يُخبر به عن الإنس .

و « الصفاء » من المودة ممدود و« الصفا » من الأرض مقصور .

٧ على خالِدِ بنِ يَزِيدَ بنِ مَزْ
يَدِ امْرِ دُمُوعًا نَجِيعًا بِمَاءِ

٧ – (ع) . « فامْرِ عَيْنًا نَجِيعاً بماء » ، (س) « فامِر دمعاً نجيعاً » . يقال مَرَيتُ اللبنَ وغيرَه إذا استخرجتَه من الضَّرْع ، ومربتُ الناقةَ إذا مَسحتَ ضَرْعَها ، وكذلك مَرَتِ الرِّيحُ السَّحابَ ، ومَرَى الفارِسُ الفرسَ إذا حرَّك رجلَه عليه ليستدِرَّ جَرْيَه ، قال ساعدةُ بن جُؤيَّة :

يَمُرونهنَّ إذا ما آنَسُوا فَزَعاً تحتَ السَّنَوَّر[٢] بالأعقابِ والجِذَمِ

---

(١) جاء فى ظ : أخذ من عنان الدابة لأن العنانين متساويان ، وعلى هذا يحمل قول أبى تمام ، فأما على الأول فليس بجيد .

(٢) « السنور » جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدرع ، وقال أبو عبيدة « السنور » الحديد كله . والجذمة من السوط ما يقطع طرفه الدقيق ويبقى أصله .

ـ «الجِذَمُ» جمع جِذْمَة وهو السَّوْط ، و «النجيع» الدَّم وقيلَ هو دَمُ الجَوْف خاصةً ، قال الشاعر :

وتَخضِبُ لحيةً كذَبَتْ وخانَتْ بأَحمرَ من نَجيعِ الجَوْفِ آنِى

ـ «الآنى» الحارُّ ـ وليس يريد أنه يَمْرى نجيعاً ممزوجاً بماء ولكن الغرض : [ع] أمرِ نجيعاً بدلاً من الملء كما تقُول لِلرجل إذا طلبتَ منه دينارًا فلم يُعطِك أعطنى درهماً بدينار أى بدلاً منه ، وهذا كقول الشاعر :

فليتَ لنا مِن ماءِ زمزمَ شَرْبةً مُبَرَّدَةً باتَتْ على طَهَيانِ[1]

أى بدلاً من ماء زمزم .

٨ ولا تَريَنَّ البُكَا سُبَّةً
وأَلصِقْ جَوًى بِلَهِيبٍ رَوَاءِ

٨ـ أصل «الجَوَى» ما خَلا من الحُزْن والحُبّ والمرض إلى باطن الجسم لإنَّ الجوَّ باطنُ الشيء . و «رَوَاء» من قولهم ماء رَوَاء أى كثير مُرْوٍ . [ع] أى هذا اللهيب يَشفِيك بعد حين ، أى يَرويك من الجَزَع ، ويكون المعنى أنَّ البكاءَ يشفى كما قال ذو الرُّمّة :

لَعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً مِن الوَجْدِ أو يَشفى نَجِىَّ البلابلِ

ويُحتمل فى مذهب الطائى أن يكون معنى «الرَّوَاء» أنه يروى الخدَّ أو الأَرضَ بالدمع ، ولم تَجْرِ عادةُ اللهيب أن يأْتى بالرِّىّ ، فهذا غيرُ

(١) قال فى اللسان (مادة طهى) : قال أبو عبيد البكرى «طهيان» بفتح أوله وثانيه وبعده الياء أخت الواو اسم ماء ، و «طهيان» جبل وأنشد :

فليت لنا من ماء حمنان شربة مبردة باتت على طهيـــان

وشرحه فقال بدلا من ماء زمزم .

المعنى الأول[١]

٩ فَقَدْ كَثَّرَ[٢] الرُّزْءُ قَدْرَ الدُّمُو
ع وقَدْ عَظَّمَ الخَطْبُ شَأْنَ البُكَاءِ

١٠ فبَاطِنُه مَلْجَأٌ لِلأَسَى
وظاهِرُهُ مِيسَمٌ لِلوَفَاءِ

١٠ – «مِيسَم» أى علامة ، أى أنَّا إذا بكينا وأظهرنا الجَزَعَ عُلِمَ أنَّا وافون[٣] .

١١ مَضَى المَلِكُ الوَائِلِيُّ الذى
حَلَبْنا به العَيْشَ وُسْعَ الإِنَاءِ

١١ – [ص] أى كان عيشنُا به رغَدًا تامَّ الطِّيب * ، أى جِئنا بإناءٍ

---

(١) قال الصولى : يقول أقرنه بلهيب ليروى غليلك من الوجد، وليس من شأن اللهيب أن يروى فهذا هو العجب ! ورواه قوم: « بنحيب رواء » والأول أجود . وقال ابن المستوفى : والذى عليه مذهب أبى تمام أن يبعد فى الاستعارة فجعل اللهيب رواء أى كثيراً مروياً ، وكما أن الدمع يعقب راحة فكذلك اللهيب، أى يخفف إذا أظهره ذو الغلة وقرنه بالجوى وهو داء القلب ليخفف الباطن بالظاهر .

(٢) جاء فى ظ : ويروى فقد كبر وقال الصولى : وكلاهما جيد . ويروى « فقد صغر » أى مهما بكى فدموعه صغيرة فى جنب هذا الرزء .

(٣) قال الصولى : يقول يلجأ الحزين إلى الدمع ليستريح به فإذا ظهرت دموعه فتلك علامة وفائه . وقال ابن المستوفى أخذه ابن العباس الرومى فعكسه وقال :

عينىّ سُحّا ولا تَسُحّا جَلَّ مُصَابى عن العَزاءِ
تَرْكُكُما الدّاءَ مُسْتَكِنًّا أَصدقُ فى صِحّةِ الوفاءِ

وجعل أبو تمام للدمع باطناً وظاهراً فأراد بقوله « فباطنه ملجأ للأسى» أن الحزن يلجأ إلى باطن الدمع يعتصم به ليجد به راحة فيقل الأسى . . . على أن الراحة موجودة فى باطن الدمع وظاهره وإن دل ظاهره على الوفاء .

فحلبنا مِلاءَه أى مقدارَ ما يَسعَ[١] .

١٢ فَأَودَى النَّدَى ناضِرَ العُودِ والـ
ـفُتُوَّةُ مَغْمُوسَةً[٢] فى الفَتَاءِ

١٢ ـ «الفَتَاء» حَدَاثة السِّن ، قال الفَزَارِىّ :

إذا عاشَ الفَتَى مائتينَ عاماً فقد ذَهَبَ اللَّذاذةُ والفَتَاءُ

١٣ فأَضحَتْ عليهِ العُلى خُشَّعًا
وبَيْتُ السَّمَاحَةِ مُلْقَى الكِفَاءِ

١٣ ـ «خُشَّع» جمع خاشعة أى ذليلة قد ظهرَ بها الضعف ، و «انكِفَاء» شُقَّة تكون فى مُؤَخَّر بيت البَدوىّ ، يقال أَكفأْتُ البيتَ فهو مُكْفَأٌ إذا جعلتَ له كِفَاءً .

١٤ وقَدْ كانَ مِمَّا[٣] يُضِىءُ السَّرِيرَ
والبَهْوَ يَمْلَؤُه بِالبَهَاءِ

١٤ ـ [ع] قوله «مِمَّا يُضىء السَّرِير» أى ممّا يَفعل أن يُضِىءَ السَّرير و«ما» هاهنا مِثلُها فى قول التغلبىّ :

وإنَّا لَمِمَّا نَضرِبُ الكبشَ ضَرْبةً على رأسهِ تُلِقى اللسانَ مِنَ الفَمِ *

«والبَهْو» الموضع الواسع ، ويقال لكِناس الثور الوحشى بَهْو لأَنه يُوسِّعه ، وكذلك يقال لما بين الثَّدْيَيْن مِن الصدرِ بَهْو .

---

(١) جاء فى ظ : قال الصولى : «الوائلى» نسبة إلى جده وائل بن عمرو بن وائل ، والباقى مثل ، يقول : كان عيشنا به رغداً تام الطيب غير ناقص كما يملأ الحالب إناءه من اللبن .

(٢) قال ابن المستوفى وقع فى النسخ «مغموسة» بالرفع والصواب بالنصب على الحال وعليه المعنى .

(٣) جاء فى ظ : ويروى «ممن يضىء السرير» .

١٥ سَل المُلْكَ عَنْ خالدٍ والمُلُوكَ
بقَمْعِ العِدَى وبِنَفْيِ العَدَاءِ

١٥ ـ « العَدَاء » الظُّلْم ، ويُسمّى الجَفاءُ عَدَاءً ، ويقال بَرَكتِ الناقةُ على عَدَاءٍ أى على موضعٍ مُتجافٍ ، قال الشاعر :

بَكتْ إبلى وحُقَّ لها البُكاءُ وطالَ بها المحَابِسُ والعَدَاءُ[1]

يُقال إنَّ « العَدَاءَ » ها هنا الظُّلْم لأنه أراد نَحْرها ، وهم وإن كانوا يَروْن نحرَ الإبلِ كَرَماً فإنهم يعلمون أنه ظُلْم ، قال ابن مُقْبل :

عاذَ الأَذِلَّةُ فى دَارٍ وكانَ بها خُرْسُ[2] الشَّقاشقِ ظلاَّمُونَ لِلجُزُرِ

فأَمّا قول زهير :

فصَرِّمْ حَبْلَها إذْ صَرَّمتْـه وعادَكَ أَنْ تُلاقِيهَا العَدَاءُ

فيقال إنه أراد بـ « العَدَاء » البُعْد .

١٦ أَلَمْ يَكُ أَقتَلَهُمْ[3] لِلأُسُودِ
صَبْرًا وأَوهَبَهُمْ لِلظِّبَاءِ ؟ !

١٦ ـ [ع] أراد « بالأُسُود » ها هنا الأَبطالَ مَن الرجال الذين يُشبَّهون بالأُسود ، كما قال النابغة :

نُبِّئتُ أَنَّ أَبا قابوسَ أَوعَدَنى ولا قَرارَ على زَأْرٍ مِن الأَسدِ

---

(١) روايته فى اللسان (مادة عدا) وهو مما أنشده أبو عمرو بن العلاء :

بكت عينى وحق لها البكاء وأحرقها المحابس والعـداء

(٢) با : « هرت الشقاشق » وهى الرواية فى اللسان ، والشقشقة لهاة البعير ، وسمى الخطباء شقاشق، شبهوا بالبعير الكثير الهدر ، ويقولون للخطيب الجهر الصوت هو أهرت الشقشقة ، وهريت الشدق ، وخرس الشقاشق أى يبالون بما يقولون .

(٣) ظ : ويروى « ألم يك أقمعهم » .

أى أنَّ أبا قابوس مثلُ الأَسد ووعيدَه مثلُ زأره . وقوله «صَبْرًا» أى يُصابرهم فى الحرب حتى يقتلَهم ، وليس هو من قولهم قُتِل فلانٌ صَبْرًا إذا قُدِّمَ فضُربت عُنقُه فى غير الحرب ، كما رُوِى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قتلَ النَّضْرَ بنَ الحارث وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط صَبْرًا ، كأنَّه صَبَّرهما على القَتْل أى حَبَسهما عليه . و«أوهبَهم لِلظباء» أى للقِيان اللَّائى يُشبِّهن بالظِّباء ثم يُحذَف التشبيه فتُجعل المرأةُ ظبيةً ، كما قال الشَّماخ :

دَارُ الفتاةِ التى كنَّا نَقولُ لها ... يا ظبيةً عُطُلاً حُسَّانةَ الجِيدِ[1]

وأدخَل اللامَ على «الظِّباء» لأَن [أَفْعَل] إذا أُريد به معنى التفضيل ناسب [أَفْعَل] الذى للتعجب فلم يَعمل إلاَّ بحرف الخفض ، فتقول هذا أوهبُ الناس للدراهم ، فإنْ خذفتَ اللَّام نصبتَ «الدراهمَ» بفعلٍ مُضمر يَدلُّ عليه أَوْهَبُ كأنه يَهَب الدراهمَ أو نحو ذلك ، ومنه قول الشاعر :

فلم أَرَ مثلَ الحىِّ حَيًّا مُصَبِّحاً ... ولا مِثْلَنا لمّا التقينا فَوارِسا
أَكَرَّ وأَحمَى للحقيقةِ منهمُ ... وأَضربَ مِنَّا فى اللِّقاءِ القَوَانِسا[2]

١٧ أَلَمْ يَجْلِبِ الخَيْلَ مِنْ بَابِلٍ[3]
شَوَازِبَ مِثْلَ قِدَاحِ السَّرَاءِ

١٧ – «شَوَازِب» ضَوَامر ، و«الشَّواسِب» بالسين أَشدُّ ضُمْرًا من الشَّوازب ثم «الشَّواسِف» أَشدُّ منهما . و«السَّراء» شجر تُعمل منهُ القِسِىُّ والقِدَاح ،

---

(١) «الحسان» بضم الحاء وتشديد السين أحسن من الحسن ، وذكر صاحب اللسان بيت الشماخ هذا وقال : قال ابن برى : حَسَن وحُسَان وحُسّان مثل كبير وكُبار وكُبّار ، وعجيب وعُجاب وعُجّاب ، وظريف وظُراف وظُرّاف .

(٢) «القوانس» جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد .

(٣) با : «من بابك» . وذكر ابن المستوفى هذه الرواية وقال : وليس بشىء .

وتُشبِّه الناقة الضامرة والأتان من الوحش بقوس السَّرَاء، قال زهير :

ثَلاثٌ كأَقواسِ السَّرَاءِ ومِسْحَلٌ قداخضَرَّ مِنْ لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُهُ[1]

١٨ فَمَدَّ على الثَّغْرِ[2] إعصَارَها
بِرَأْىِ حُسَامٍ ونَفْسٍ فَضَاءِ

١٨ – فى النسخ «أعضادَها»[3] وليس بجيِّد . (ع) : «الإعصار» غُبارٌ ترفعه ريحٌ شديدة ، ومن أمثالهم : «إن كنتَ ريحاً فقد لا قيتَ إعصارا» ، وجمع الإعصار أعاصير ، قال الشاعر :

كأَنَّهمْ قَصَبٌ جَفَّتْ أسافِلُه مُجوَّفٌ نَفخَتْ فيه الأَعاصِيرُ

وقوله «برأىِ حُسَامٍ» أى مِثل الحُسَام فهو داخلٌ فى المستعار والتشبيه المحذوف الآلة ، وكذلك قوله : «ونفسٍ فَضَاءِ» يُريد أنها واسعة ، أخذَه من قولهم أَرضٌ فَضاء ، وما يُعلم أنَّ أحدًا قبل الطائى قال نَفْس فَضَاء ، وكان هذا الفنُّ من الكلام غرضَه ودأْبه .

١٩ فلَمَّا تَرَاءَتْ عَفَارِيتُهُ
سَنَا كَوْكَبٍ جاهلِىِّ السَّنَاءِ

١٩ – [ص] الهاء فى «عفاريته» للثغر * ، «عفاريت» جمع عِفْريت وهو

(١) جاء فى ظ : ويروى «السراء» بكسر السين جمع سروة وهى شجرة وجمعها سرو وسراء . وقال فى اللسان (مادة غمر) «الغمير» حب البهمى الساقط من سنبله حين ييبس ، وقيل «الغمير» ما كان فى الأرض من خضرة قليلا . . . وأورد بيت زهير هذا والرواية فيه : «ثلاث كأقواس السراء وناشط» ، و «اللس» الأكل، قال أبو عبيدة : يلس لسا إذا أكل، وجاء بالبيت وهو فى صفة وحش . و «الجحافل» جمع جحفلة وهو ما تتناول به الدابة العلف ، والجحفلة من الخيل والحمر بمنزلة الشفة ، والمشفر للبعير .

(٢) ظ : ويروى «ومد على الأرض» .

(٣) ظ : يريد أعضاد الخيل . «وإعصارها» يريد به عجاجها فى الحرب .

الخبيث لمُنكر . وأصله أن يُستعمل فى الجِنّ ثم نُقِل إلى الإنس ، والتاء فيه زائدة كأَنَّه مأخوذ من الرجل العِفْر وهو القوىّ الشديد ، وربما عبَّروا عن « العِفْر » بالشجاع ، يريدون أنه يُعَفِّر قِرْنَه أى يُلقيه فى العَفَر وهو التُّراب ، يُقال عِفْريت وعِفْرِيَةٌ وعُفارِيةٌ ، قال ذو الرُّمة :

كأَنَّه كوكبٌ فى إثرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ فى سَوادِ الليل مُنتَصِبُ[1]

وقال جرير :

قَرنتُ الظالمينَ بِمَرْمَرِيسٍ[2] يَذِلُّ بها العُفَارِيةُ المُرِيدُ

و« السَّنا » مقصور ضوءُ البرق والنارِ ونَحوهما ، ويروى بعضُهم سَنا البارِقُ يَسنو ، قال ذلك على أنه من ذَوَات الواو ، « والسَّناء » الشرف ممدود . وأَراد بـ « الكوكب » الممدوح ، وقوله « جاهلىّ السَّناءِ » أى هو قديم الشرف وليس هو بمُحدَث فى الإسلام .

٢٠ وقَدْ سَدَّ مَنْدُوحَةَ القاصِعَاءِ
مِنهمْ وأَمسَكَ بالنافِقَاءِ

٢٠ – « المَنْدوحة » المُتَّسع ، يقال لك فى هذا مَنْدوحةٌ ومُنْتَدح ، وجمع مندوحة مَنَادح ومَنَاديح ، ومناديح أَقيسُ ، والوجه الآخر جيِّد . و « القاصِعَاء » و « النَّافِقاء » من جُحر اليَربوع ، يُقال قَصَّعَ و نَفَّقَ إذا اتخذَ القاصِعَاءَ والنَّافِقاءَ ، قال الشاعر :

وإنى لَأَصطادُ اليَرابِيعَ كلَّها شُفارِيَّها والتَّدْمُرِىَّ المُقَصِّعا

---

(١) من الخيل المسومة وهى المعلمة .

(٢) « المرمريس » هنا الأرض التى لا تنبت .

و « الشُّفارىّ » الكثير الشَّعَر و « التدمرىّ » الصغير ؛ ويقال تَنفَّقَه الرجلُ إذا أخرجَه مِن نافقائه ، قال الشاعر :

إذا الشيطانُ قَصَّعَ فى قَفاها تَنفَّقناهُ بالحبلِ التُّوأَمِ[1]

٢١ طَوَى أَمرَهُمْ عَنْوَةً فى يَدَيْهِ
طَىَّ السِّجِلِّ وطَىَّ الرِّداءِ

٢١ - [ع] « طَوَى » فى أول البيت متصل بـ « لمّا تَراءَتْ » لأَن « لَمّا » تفتقر إلى فعْلين . « وعَنْوَةً » إن شئتَ من الظُّهور أَى طَوَى أَمرَهم طيًّا ظاهرًا ، وإن شئتَ كان مِن عَنَوْا له أَى ذَلُّوا ، ويقالُ طَواه طىَّ السِّجل وطىَّ الرِّداء .

٢٢ أَقَرُّوا - لَعَمْرِى[2] - بِحُكْمِ السُّيُوفِ
وكانَتْ أَحَقَّ بِفَصْلِ القَضَاءِ

٢٣ وما بالولايَةِ إقرارُهُمْ
ولكنْ أَقَرُّوا لَهُ بالوَلاءِ

---

(١) فى النسخ « نفق فى قفاها » ولا تستقيم إلا إذا جعلنا « تنفقناه » « تقصعناه » أو العكس . قال المرزوقى : إذا أتى اليربوع جحره من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ، والمعنى أنه أخذ الطريق على أعدائه وألجأهم منها إلى المضيق ووقف على مكايدهم وصرفهم عن سعة الرأى حتى أشرفوا على الهلاك . وقال فى اللسان (مادة نفق) : والنافقاء جحر الضب واليربوع . وقيل النفقة والنفقاء موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ، وتنفقه الحارث استخرجه من نافقائه ، واستعاره بعضهم للشيطان فقال :

إذا الشيطان قَصَّع فى قفاها تنفقناه بالحَبْلِ التُّؤام

أى استخرجناه استخراج الضب من نافقائه :

وأنشد ابن الأعرابى قبله :

وما أم الردين وإن أولت بعالمة بأخلاق الكرام

(٢) جاء فى ظ قال أبو يحيى الطوسى : « لعمرى » هنا حرف ضعيف ولو قال « هناك » كان أبين له وأشبه .

٢٣ – [ص] يقول ليس لأنه وَلِيَهم أَقرُّوا له ولكن صاروا مواليَه أبدًا لما رأَوْه مِن حَزْمه وشرفه .

٢٤ أُصِبْنا بِكَنْزِ الغِنَى والإِمَامُ
أَمسَى مُصَابًا بِكَنْز الغَنَاءِ

٢٥ وما إنْ أُصِيبَ بِرَاعِي الرَّعيَّةِ
لا بَلْ أُصِيبَ[1] بِرَاعِي الرِّعاءِ[2]

٢٥ – «رِعاء» جمع رَعِيّ وهو الذى يُحسِن أن يرعَى مثل مَلِيٍّ ومِلاء .

٢٦ يَقُولُ النِّطاسِيُّ إِذْ غُيِّبَتْ
عنِ الدَّاءِ حِيلَتُه والدَّوَاءِ

٢٦ – يقال رجلٌ نَطِسَ ونَطِيس ، قال الشاعر :

إذا قَاسَها الآسِى النِّطاسِيُّ أُرعِشَتْ أَنامِلُ آسِيها وجاشَتْ هُزُومُها (٣)

٢٧ نُبُوُّ المَقِيلِ بِهِ والمَبِيتِ
أَقعصَهُ واختِلافُ[4] الهَوَاءِ

٢٧ – «نُبُوّ» من نَبا الجَنْبُ عن الفِراشِ ، وليس هو ممّا يُهمز إلاَّ أَنْ يُتأَوّل له تأْويلٌ بعيد . و«المَقِيل» الموضع الذى يَقِيل فيه الإنسان أى ينام

(١) س : «لكن أصيب» .
(٢) ظ : «رعاء» .
(٣) البيت للبعيث كما ورد فى اللسان (مادة نطس) قاله يصف شجة أو جراحة ، وروايته فيه :
إذا قاسها الآسى النطاسى أدبرت غثيثتها وازداد وهياً هزُومها
«والهزوم» جمع هزمة من الهزم وهو غمزك الشىء بيدك فيصير فيه وقرة ، وهزوم الجوف مواضع الطعام والشراب لتطامنها .
(٤) س : «باختلاف» .

فى وقت الهاجرة ، وسُمِّى ما شُرِبَ فى ذلك الوقت قَيْلاً ، وكان أصل « القَيْل » الإقامة فى الموضع ثم خُصّ به شىء دون شىء ، ألا ترى إلى قول الراجز :

ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيله
ويُذْهِلُ الخلِيلَ عن خليلِهِ

و« مَقِيل الهامة » هو الموضع الذى يكون فيه ما عاش الإنسان ولا يُخَصُّ بذلك وقتٌ دون وقت . و « الإقعاص » القَتْل الوَحِىُّ ، يُقال طَعَنَه فأَقعصَه أى قَتَله مكانَه . و« الهواء » المكان الخالى ، والناس يعبّرون به عن النَّسيم والرِّيح والحرّ والبرد ، وإنما يُعنى به الأشياءُ التى تحدث فى الهواء أى ما بين السماء والأرض ، وذلك شائع فى كثير من الكلام ، يُسمّى الشىء باسم ما ضُمّنَه وقَرُبَ منه .

٢٨ وقَدْ كانَ لَوْ رُدَّ غَرْبُ الحِمَامِ
شَدِيدَ تَوَقٍّ طَوِيلَ احتِمَاءِ

٢٨ – « غَرْب الحِمَام » حَدُّه . (س) : « كثيرَ تَوَقٍّ » . [ص] « شديد تَوَقٍّ » يريد مِن العَار والنَّار ، « طويل احتماء » من الذُّنوب والمقَابح .

٢٩ مُعَرَّسُهُ [1] فى ظِلال السُّيُوفِ
ومَشْرَبُه مِنْ نَجِيعِ الدِّماءِ

٢٩ – [ع] « نجيع الدِّماء » يحتمل وجهين : أحدهما أن يُدَّعى له أَنَّ قَتْل أعدائه يُغنيه عن شُرْب الماء لأَنه يشفى صدره به كما قال التغلبىّ :

شربنا مِن دماءِ بنى سُلَيمٍ بأطرافِ القَنَا حتَّى رَوِينا

(١) أى موضع نزوله آخر الليل .

والوجه الآخر وهو أجود أن يكون «النَّجيع» هاهنا مِن قولك ماءٌ ناجع ونَجِيع إذا كان يَصلُحُ عليه بَدَنُ الشارب ، ويَحسنُ هذا الوجه لأنَّ القصيدة قد مَرَّ فى أوّلها «النجيع» فى معنى الدَّم فتكون هذه الكلمة مخالفةً لتلك[1] .

٣٠ ذُرَى المِنْبرِ الصَّعْبِ منْ فُرْشِه
ونارُ الوَغا نَارُه لِلصِّلاءِ

٣٠ ـ أصل «الوَغا» الصوت ، وسُمِّيتِ الحربُ به لأجل الصوت ، قال الراجز :

إضامَةٌ مِنْ جُلِّها الثلاثينْ
لها وَغاً مثلُ وغَا الثمانينْ

ـ يُريد «بالإضامة» جماعةَ الإبل ـ «ونار الصِّلاء» التى يَصطلى بها المقرورُ ليدفع بها البرد. [ع] والمعنى أنَّ نار الحرب عنده مُقَرَّبَة مُؤْثَرة لا كُلْفَةَ فيها وإنما هى نَفْع له كما أنَّ النَّارَ يَنتفِعُ بها المقرورُ *. وإذا فتحتَ الصادَ من «الصِّلاء» قُصِرَ كما قال الفرزدق :

وقاتلَ كلبُ الحىِّ عن نارِ أهلِهِ ليربِضَ فيها والصَّلا مُتَكَنَّفُ

٣١ ومَا مِنْ لَبُوسٍ سِوَى السَّابِغاتِ
تَرقْرَقُ مِثْلَ مُتُونِ الإِضَاءِ

٣١ ـ أصل «اللَّبُوس» اللِّباس ، واللَّبُوس واللِّبْس واحد إلاَّ أنهم كثرَ استعمالُهم اللَّبُوس فى الدُّروع ، وفى الكتاب الكريم «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم»

(١) قال ابن المستوفى مستدركاً على أبى العلاء : هذا تعليل بعيد لأن «النجيع» فى أولها وليس فى القافية فيجعل هذا مخالفاً لأجل الإيطاء . (انظر البيت : ٧) .

يعنى ما يُتَّخذ من الزَّرَد ، وقد يجوز أن يُسمّى كلُّ ما يُلبس لَبُوساً ، قال :

إلبَسْ لكل عِيشةٍ لَبُوسَها إمَّا نَعِيمَها وإمّا بُوسَها

« والسَّابغات » الدُّروع التى تُسبَغ على اللابس تطولُ وتَعُمُّ الجسدَ ، وجعلها تَرقرقُ كما يَترقرقُ الماءُ ، لأنَّ الدِّرع تُشَبَّه بالغدير والنَّهْى والأضاه ، وكلُّ ذلك بمعنى واحد ، يقال للغدير أَضاهٌ فى وزن قَناة والجمع أَضاً مثل قَناً ويقولون آضاءَ فيمدّون يجعلونه مثل أَكمَةٍ وآكام ، وحكى سيبويه فى واحد الأضاه إضاء وقولُ العرب ما تَقدّم ، ويقولون فى صِفة الدِّرْعُ عليه دِرْعَ إضاه أَى مثل الإضاه ، وذلك على حذف التشبيه ، قال النابغة :

* فهنَّ إضاءٌ صَافِياتُ المَنَاهلِ *

و« المَتْن » إذا كان فى بنى آدم فهو أَسفلُ الظهر ، وإذا استعاره فى الغدير ونحوه فإنما يُراد به ما ظهر منه للعين ، وقد يمكن أَن يقال يُراد به آخر الغدير كما أَنَّ المَتْنَ آخر الظهر ، قال الشاعر فى صفة الدِّرْع[1] :

كمتنِ الغَدِير زَهتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ المُدَجَّجُ مِنها فُضُولا

٣٢ فَهلْ كانَ مُذْ كانَ حتَّى مَضَى[2]
حَمِيدًا لَهُ غيرُ هذا الغِذَاءِ[3] ؟

٣٢ [ص] يقول : لم يكن قطّ إلا وهذا فِعْلُه .

٣٣ أَذُهْلَ بنَ شَيْبَانَ ذُهْلَ الفَخَارِ
وذُهْلَ النَّوَالِ وذُهْلَ العَلاءِ

---

(١) قاله عبد قيس بن خفاف البرجمى كما جاء فى ظ والرواية فيه : « زفته الدبور » .

(٢) س : « فيما مضى » — وجاء فى ظ : ويروى : « حتى قضى » .

(٣) رواية ظ : « له مطعم غير هذا الغذاء » .

٣٣ ـ أراد أنَّ ذُهل بن شَيْبَان لهم مَفَاخر ونَوال وعَلاء ، وأضافهم إلى هذه الأشياء كما يُقال حاتمُ الجُودِ لأنه معروف به وزيدُ الفَوَارس لأنه يُمارِسُها وَيكْثُر لِقاؤُه إيّاها ، و « الفِخار » مصدر فاخرتُ وهو أكثرُ من الفتح وقد رُوِى الوجهان جميعاً . [ع] واشتقاق « ذُهْل » يجوز أن يكون من ذَهَل عن الشيء ، ويجوز أن يكون من قولهم مَضَى ذُهْلٌ من الليل أى ساعة * ، و« شَيْبان » « فَعْلان » من الشَّيْب ، ويجوز أن يكون الرجل سُمِّى شَيْبان باسم شَهْرٍ لأنهم يقولون لِشَهْرَىّ البَرْد شَيْبَان ومَلْحَان[1] .

٣٤ مَضَى خالِدُ بنُ يَزِيدَ بنْ مَزْ
يَدَ قَمَرُ اللَّيلِ[2] شَمْسُ الضَّحَاءِ

٣٤ ـ يُقال « الضُّحَى » لأوّل النهارِ ثم « الضَّحاء » بعد ذلك ، ويُقال إنَّ الضَّحاءَ وقتُ الغَداء ، ويُسمّى غَداءُ الإبلِ ضَحَاءً ، ومنه قول الجَعْدىّ :

أعجَلَها أَقْدُحِى الضَّحاءَ ضُحًى ... وَهْىَ تُنَاصِى ذَوَائب السَّلَمِ[3]

ويقال ضَحَّى الرجلُ إذا غَدَّى إبله ، قال الشاعر :

ما زلتُ مُذْ أَشهَرَ السُّفَّارُ أَرقبُهم ... مثلَ انتظارِ المُضَحِّى راعىَ الغَنَمِ

وقالوا فى المثل ضَحِّ رويدًا إذا أمروا الرجلَ بالرِّفق والأناة ويزعمون أنه من ضَحَاء الإبل ، ويُنشد لزيد الخيل :

ولو أنَّ نَصْرًا أَصلَحتْ ذَاتَ بينها ... لَضحَّتْ رُويدًا عن مَظَالمها عَمْرُو

---

(١) قال ابن المستوفى : أراد بذهل بن شيبان قبيلة خالد وهما ذهلان : الأكبر ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، والأصغر : ذهل بن شيبان بن عكابة ، وكلاهما من ربيعة .

(٢) مس : « قمر الصبح » وجاء فى ظ : ويروى « بدر الظلام وشمس الضحاء » وقال وهى أجود لمنع صرف ما لا ينصرف فى « مزيد » .

(٣) قال فى اللسان (مادة ضحا) «الضحاء» الغداء سمى بذلك لأنه يؤكل فى الضحاء : تقول هم يتضحون أى يتغدون ، وأورد البيت .

٣٥ وخَلَّى مَساعِيَهُ بَيْنكُمْ
فإيَّاىَ فِيها وسَعْىَ البِطَاءِ

٣٥ ـ « المَسَاعى » جمع مَسْعَاة وهى المكرُمَة التى تُنال بالسَّعْى والدَّأب ، وأَصلُ ذلك أَنَّ القائم بأُمُور القوم إذا نزلَ بهم خَطْبٌ سَعَى فيه أى سارَ ومَشى إنْ كان من حربٍ أَو حَمْلِ دِيَة أَو نحو ذلك ، قال زهير :

سَعَى سَاعِيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعدما تَبزَّلَ ما بينَ العَشِيرة بالدَّمَ

يعنى بـ « السَّاعيين » سِنانَ بن أَبى حارثة والحارث بن عوف بن أَبى حارثَة ، لأَنهما كانا سَعيا فى صلاح ما بين عَبْس وذُبيان وأَخْذِ دياتِ القَتْلى. [ع] والمعنى : أَنَّ هذا المفقود تَرَكَ بينكم مَساعِيَه فاحذروا من الإبطاء فى السعى ، وافعلوا كما كان يفعل من التَّسرع إلى المكارم والنهوضِ بالأَثقال ، وجعَل الأَمرَ فى الظاهر لنفسه والمُرادُ المخاطب كما قال الحجّاج فى بعض كلامه : إيَّاىَ وهذه الزُّرافات ، أَى إيّاىَ وهذه الجماعات ، والمُراد إيّاكم يا سامعون وهذه الأَشياء * ، ويرى الرجلُ ولدَه يلعب فيقول إيّاىَ واللعبَ أَى لا تلعبْ يا غلامُ ، وإنما حَسُنَ أَن يَجعل المتكلمُ ذلك لنفسه إذ كان يُريد إعلامَ السامع بأَنه مُهتَمٌّ بأَمرهِ يُؤْثر له المصلحةَ والأَفعالَ الحميدة .

٣٦ رِدُوا المَوْتَ مُرًّا ورُودَ الرِّجالِ
وبَكُّوا عليهِ بُكاءَ النِّساءِ

٣٧ غَلِيلِى على خالدٍ خالِدٌ
وضَيْفُ هُمُومى طَوِيلُ الثَّوَاءِ

٣٧ – يُستعمل «الغَلِيلُ» فى العَطَش والشوقِ والحزن والحِقْد . «والثَّوَاء» الإقامة .

٣٨ فلَمْ يُخْزِنى الصَّبْرُ عنه ولا
تَقَنَّعتُ عارًا[1] بِلُؤمِ العَزَاءِ[2]

٣٩ تَذكَّرْتُ خُضْرَةَ ذَاكَ الزَّمانِ
لَدَيْهِ وعُمْرانُ[3] ذَاكَ الفِنَاءِ

٤٠ وزُوَّارُه لِلعَطايَا حُضُورٌ
كأَنَّ حُضُورَهُمُ للعطَاءِ

٤٠ – [ع] المعانى تَحدُث فى الأَسماء لأَغراضٍ تقع لم تكن قديمة ، وأَصلُ «العَطايا» والعَطاء واحد ، وإنما يختلفان فى أَنَّ هذا جمع عَطِيّة وهذا لفظُه لفظُ الآحاد ؛ وكانوا فى صَدْر الإسلام يقولون حَضرَ الجُندُ لِلعَطاء إذا حضروا لأَخذِ أَرزاقهم الواجبةِ لهم فى كلِّ سنة ، وإنما يأْخذونها لأَنهم يُستخدَمون فى الحرُوب والخُروج فى البُعوث ، فكأَنَّ الشاعرَ جعل اجتماعَ هؤلاء الزُّوّار لِأَخذهم عَطايا ليست لهم واجبةً كاجتماع الأَجناد لأَخذهم ما هو مُفترَضٌ لهم واجب ، فإن قِيل إنَّ المُرادَ أَنهم اجتمعوا لِيُعطَوْا فيكون الآخذون كأَنَّهم اجتمعُوا ليكونوا المُعْطِينَ فالغرضُ صحيحٌ ولكن اللفظ غيرُ دالٍ عليه إذْ كان

---

(١) هـ س : «لؤماً» .

(٢) قال ابن المستوفى فى شرحه : أراد لم يفضحنى الصبر عنه لأنى لم أصبر ، وهذا وما بعده من باب سلب الشىء بإيجابه ، أى لم يكن لى صبر عنه فيخزينى . وقال : الصبر عن مثله خزى والعزاء عنه لؤم فلم أصبر فأخزى ولم أتقنع بلؤم العزاء حذر العار . وقالوا : أراد صبرت صبر الكرام على جلالة هذه الرزية .

(٣) س : «وصحبة» .

بَيانُ الخبر غيرَ معلوم ، ولم تجرِ عادةُ المُعْطِين بأَن يجتمعوا ، بل يكون المعْطِي واحدًا وهو الرئيسُ المعْتَمد ، والمُعَطوْنَ كثيرًا[1] .

٤١ وإِذْ عِلْمُ مَجْلِسِه مَوْرِدٌ
زُلالٌ لِتلكَ العُقُولِ الظِّماءِ

٤٢ تَحُولُ السَّكينةُ دُونَ الأَذَى
بهِ والمُرُوَّةُ دُونَ المِرَاءِ

٤٢ – « المُروَّة » أَصلها الهمز ، وقد حُكيتْ المَرَاة ، تقول : فى فلان مُروَّة ومَرَاة كما تقول فيه إِنسانية ، واشتقاقها من قولك هذا امرؤ وقد عُلِم أَنَّ كلَّ آدميّ فيه إِنسانيةٌ وكلَّ امرئ فيه مُروءة ، لأَنك إِذا قلت إِنسان فالإِنسانية منعقدةٌ بهذا اللفظ كما أَنَّ القيام مُنعقِدٌ بالقائم ، ولكن هذه اللفظة خرجت على التخصيص ، وهذا كقولهم كان ذلك والناسُ ناس والبلادُ بلاد أَى والناسُ صالحون والبلاد بلادٌ مُخصِبة ، ومن ذلك قول الهُذلىّ :

لَعَمْرِ أَبِى الطَّيْرِ المُرِبَّةِ[2] بالضُّحَى على خالدٍ أَنْ قد وقَعْنَ على لَحْم

أَى قد وَقعنَ على رجلٍ له خَطَرٌ وقَدْر ، وإِنما جاءَ هذا على حذف الصِّفَة لعلم المُخاطَبِ بما يُرَاد . ورأَى يهودىٌّ علىَّ بن أَبى طالب رضى الله عنه يشترى جهازَ العَروس فقال له : بمن تزوجتَ ؟ فقال له : بفاطمة بنت محمد

---

(١) الوجه الأول قاله الصولى ، قال : كأن زواره الذين حضروا للعطايا قوم من أهل الديوان مرتزقة قد حضروا لأخذ أعطياتهم ، شبههم بهؤلاء لكثرتهم .
والثانى قاله المرزوقى ، وقال : أخذه من قول زهير :
تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(٢) رَبَّ بالمكان وأرب لزمه .

صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال اليهودىّ : لقد تزوجتَ بامرأة ! أى بامرأةٍ لها شأْن . ومنه قولُ الأنصارى :

أَلَمَّ خيالُ ليْلى أُمِّ عمرٍو ولم يُلِمِمْ بنا إلاَّ لِأَمْرِ

وقد عُلِم أَنَّ جميع الحَوادث لا تقع إلاَّ لأَمرٍ من الأُمور ، وإنما المراد لم يُلِمِمْ بنا إلاَّ لأَمرٍ عظيم . «والمِرَاء» من قولهم ماريتُ الرجلَ ، وأَصلُ «المَرْى» استخراجُ شىءٍ من شىء ، وقولُهم مارَى الرجلُ صاحبَه يُراد أنه يستخرج ما عنده من خِلاف ، ومَن قال إنَّ «المَرْى» الجَحْدُ فإلى هذا يرجع .

٤٣ وإِذْ هُوَ مُطْلِقُ كَبْلِ المَصِيفِ
وإِذْ هوَ مِفْتاحُ قَيْدِ الشِّتاءِ

٤٣ [ع] « كَبْلُ المَصِيف » أى قَيْدُه ، مستعار ، وكذلك قوله : « مفتاح قفل[1] الشتاء » ، وإنما يريدون أَنَّ المَصِيف يتصرّف الناسُ فيه فكأَنَّ هذا المرئىّ يُطلقهم من الكُبُول ليسَعَوْا فى المعاش وفيما يريدون ، ويَفتح قُفْلَ الشتاء لأَنه عَسِرٌ ضيِّق فيكشفُه عنهم بالعَطاء والإِحسان[2] .

٤٤ لقَدْ [3] كانَ حَظِّى غيرَ الخَسِيسِ
مِنْ رَاحَتَيْهِ وغَيْرَ اللَّفَاءِ

٤٤ – يريد غير القليل ولا الناقص ، يقولون رَضِىَ من الوفاءِ باللَّفَاءِ

(١) يظهر من شرح أبى العلاء أن روايته « قفل الشتاء » .

(٢) قال الصولى : يعطى فى المصيف والشتاء ، ويغزو فيهما حين لا يغزو أحد حتى يغنم الناس . وقال ابن المستوفى : إن هذا الفقيد كان روحاً فى الصيف فلا يُتأذى بحره ، ودفئاً فى الشتاء فلا يُتأذى ببرده ، وقال كأنه أخذه من قول خلف الأحمر :

مشمس فى القر حتى إذا ما أذكت الشعرى فبرد وظل

(٣) س : « وإذ كان » .

أى من أَخْذ الحقِّ الكامل المُوفَّى بما هو دونه ، قال أَبو زُبَيْد :

فما أَنا بالضعيفِ فتظلمونى ولا حَقِّى اللَّفَاءُ ولا الخَسِيسُ

٤٥ وكنتُ أَرَاهُ بِعَيْنِ الرَّئيسِ[١]

وكانَ يَرانى بِعَيْنِ الإِخَاءِ

٤٦ أَلَهْفِى على خالد لَهْفَةً

تَكونُ أَمامِى وأُخْرَى ورَائى[٢]

٣٧ أَلَهْفِى إِذا ما رَدَى لِلرَّدَى[٣]

أَلَهْفِى إِذا ما احْتَبَى لِلحِبَاءِ

٤٧ – «رَدَى» جَمَزَ إِلى القِرْن فى الحرب . (ع) : «إِذا ما ارتدى» ارتَدى [افتعَل] من الرِّداء وهو السَّيف فى هذا الموضع ، وفى كلام لبعضهم : العربُ أَفضلُ الناس، العمائم تِيجانُها ، والسُّيوفُ أَرديَتُها ، والحُبى حِيطانُها[٤] وقد تَردَّد فى الشعر القديم ذِكْرُ الرِّداء فى معنى السيف، قال الشاعر :

يُنازعنى رِدائى عَبْدُ شمسٍ رُوَيْدَكَ يا أَخا سَعْدِ بنِ بَكْرِ

لِيَ الشَّطرُ الذى مَلَكتْ يَمِينِى ودُونَكَ فاعتَجِرْ مِنْهُ بشَطْرِ

وقال آخر :

وَداهِيةٍ جَرَّها جارِمٌ جَعلتَ رِدَاءَكَ فيها خِمارا

---

(١) س ، ر : «بعين الجلال» .

(٢) شرحه ابن المستوفى فقال : قوله «تكون أمامى» أى فى حياتى دائمة منى عليه، وقوله «وأخرى ورائى» أى باقية بعد وفاتى تذكر .

(٣) س : «للرداء» .

(٤) قال فى اللسان (مادة حبا) ومنه الحديث الاحتباء حيطان العرب أى ليس فى البرارى حيطان فإذا أرادوا أن يستندوا احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار .

أى جعلتَ سيفكَ خِمارًا لِقرْنكِ لمَّا ضربتَه به . والمعنى : ألهنى على هذا الهالك فى وقت الحرب لِردَى الأعداء أى هلاكِهم . « والاحتباء » أن يجلسَ الرجلُ ويجعلَ إزارهَ خلفَ ظهره ويَشدُّ طَرفيْه أمامَ الرُّكبتين ، وربما قيل احتبَى بيديه إذا جعلهما فى موضع عَقْدِ الحُبْوة ، وكانوا يصفون القومَ بالحِلْم إذا عقدوا الحُبَى ، ويقال حَلَّ القومُ حُباهم إذا قاموا من المجلس لأمرٍ يقَع ، قال الشاعر :

وإذا الخَنَا نَقَضَ الحُبَى فى مجلسٍ ورأيتَ أهلَ الطيشِ قاموا فاقْعُدِ

وقال بعضهُم للأحنف وقد رآه يُقاتل فى بعض الأيام : أين الحِلْمُ يا أبا بَحْرٍ ؟ فقال : عند الحُبَى ! أى للحِلم مَوْطن وللجهلِ سواه . و« الحِبَاء » العَطاء .

٤٨ أَلَحْدٌ حَوَى حَيَّةَ المُلْحِدِينَ
ولَدْنٌ ثَرَى حَالَ دُونَ الثَّرَاءِ ؟ !

٤٨ ـ يقال « لَحْدُ القَبْرِ » ولُحْدُه للذى يُحفَر فى جانبه ، وإنما قيل له ذلك ، لأنه يُمَالُ عن الوسط ، ويقال لحَدَ ، وألحَدَ ، ويقال للقبرِ مُلْحَد ومَلْحُود ، قال الشاعر :

يا ويحَ أصحابِ النبىِّ ورَهْطِه بعد المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المُلْحَدِ

ويُروى لرجلٍ يرثى هاشمَ بن عبد مناف ، وكان أخاه لأُمِّه :

إنَّ أخى هاشماً كانَ أخـا واحدِ
واللهِ ما هاشِمٌ بالناقصِ الكاسدِ
والخيرُ فى ثَوْبهِ وحُفْـرَةِ اللاَّحِـد

---

(١) س : « ألحداً . . . ولدن » بالفتح .
وقال فى ظ : ويروى « ألحداً » بالنصب على النداء وهى رواية ابن جنى .

ويقال لمن خالَفَ فى الدِّين وجَحدَ مُلْحِدٌ لأَنه يَميل عن الحق ، وقال ذُو الرُّمة يَصِف حميرَ الوحش وغُؤُورَ عُيونها :

إذا استوجَستْ آذانُها استأنَستْ لها أَناسِيُّ مَلْحُودٌ لها فى الحَواجبِ

[ع] ولم يزالوا فى القديم يُشبِّهون الرئيسَ بحيّة الوادى وحيّةِ الجبل والحيَّةِ الذَّكَر ، وقولُه : « حَيَّةُ المُلْحدِين » أَى يُهلكم كما تُهلك الحيّةُ مَن لدغَتْه * قال الشاعر :

إذا رأَيتَ بِوَادٍ حَيَّةً ذَكَرًا فاذهَبْ ودَعْنى أُمارِسْ حَيَّةَ الوادى

وقال جرير :

فما تَزدَرى مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكات[1] إذا ما عَضَّ ليسَ بأَدْرَدا

« واللَّدْن » اللَّيِّن ، « والثَّرَى » التراب النَّدىّ ، « والثَّراء » كثرة المال . وفى لنسخ « ألحدٌ حَوَى جُنَّة المُلْحدِين » ، [ص] معناه تَعجُّبٌ يقول : أَيحوى اللحدُ مَن هو جُنَّةٌ لمن أَلحدَه أَى اتخذَ له لحدًا ! ؟ يقول : هو جُنَّتُنَا ونحن اتخذنا له لحدًا ! والصواب هو الرواية الأُولى .

٤٩ جَزَتْ مَلِكًا فيهِ[2] رَيَّا الجَنُوبِ
ورائحةُ[3] المُزْنِ خَيْرَ الجَزَاءِ

٤٩ – « رَيّا الجَنُوب » أَى رائحتُه الطَّيِّبة ، وقيل إنَّ الجنوب سُمِّيت بذلك لأَنها تأتى من نحو جَنْب الكعبة وذلك من قِبْلة الشآم لأَنَّ الشمال ضدها وهى تأتى من خلف المُصلِّى فى هذه البلاد ، « ورائحة المُزْن » ما راحَ منها ، و « المُزْن » جمع مُزْنَة وهى السَّحابة ، وقال قوم هى السَّحابة

(١) قال فى اللسان « حية سكات » إذا لم يشعر به الملسوع حتى يلسعه . وأورد البيت .
(٢) ق : « فيك » .
(٣) س، د، ظ : « وعارفة المزن » وقال فى ظ أى معروفها . ورواية « رائحة » بين السطور فيها .

البيضاء خاصةً ، ويقال فى الجمع مُزْنَة ومُزْن ، كما يُقال بُرَّة وبُرّ ، ويقال مُزْنَة ومُزَن كما يقال ظُلْمةٌ وظُلَم .

٥٠ فكَمْ غَيَّبَ التُّرْبُ مِنْ سُودَد
وغَالَ البِلَى مِنْ جَمِيلِ البَلاءِ[1] !

٥٠ ـ «غاله» إذا أهلكه ، و «البِلَى» من بَلَى الجسمُ إذا تَصرَّفتْ وافترقَتْ أجزاؤُه . [ع] «والبلاءُ» يُستعمل فى الفعل الحسَن وفى القبيح ، وفى الاختبار .

٥١ أَبَا جَعْفَرٍ لِيُعِرْكَ[2] الزَّمانُ
عِزًّا[3] ويُكْسِبْكَ[4] طُولَ البَقاءِ

٥٢ فما مُزْنُكَ المُرْتَجَى بالجَهَامِ
ولا رِيحُنا مِنكَ بالجِرْبِيَاءِ

٥١ ، ٥٢ ـ يخاطب محمد بن خالد بن يزيد . «الجَهَام» السَّحابُ الذى قد أَراق ماءَه ، «والجِرْبياء» الريح الشَّمال ، وإذا هَبَّت فى الشتاء وُصفت بالبَرْد وليست بالمحمُوده عندهم ، وإنما الحمدُ للجنوب والصَّبا ، وإنما يذكرون الشمال فى الشِّدّة والحاجة إلى الطعام والقِرَا[5] .

---

(١) جاء فى ظ : وروى الصولى « من جميع البلاء » والذى لدينا فى أصوله « من جميل البلاء » . وفى س « وغال الثرى » .

(٢) جاء فى ظ : ويروى « ليعدك » .

(٣) روى الصولى « عزاء » ممدوداً .

(٤) س ، م « ويكسك » .

(٥) قال ابن المستوفى : « الجربياء » النكباء التى تجرى بين الشمال والدبور وهى ريح تقشع السحاب . وقال الصولى هى الشمال الباردة التى يكون معها الجدب .

٥٣ ولا رَجَعتْ فِيكَ تِلكَ الظُّنُونُ
حَيَارَى ولا انسَدَّ شِعْبُ الرَّجاءِ

٥٣ ـ أصل «الشِّعْب» الطريق فى الجبل وهو هنا مُستعار .

٥٤ وقد نُكِسَ الثَّغْرُ فابعَثْ لَهُ
صُدُورَ القَنَا فى ابتغَاءِ الشِّفاءِ

٥٤ ـ استعاره من نُكِسَ المريضُ .

٥٥ فَقَدْ فاتَ جَدُّكَ جَدَّ المُلُوكِ
وعُمْرُ[1] أَبِيكَ حَدِيثُ الضِّياءِ

٥٥ ـ (ع) : «فقد ماتَ جَدُّك جَدَّ المُلوكِ»[2] ويحتمل وجهينِ : أَحدَهما أَن يُريد بِـ«جَدِّ الملوك» الحظَّ ، أى كانوا يُعانون بسيفه ونيابته عنهم وينالون بذلك الحُظوظ وهذا الوجه الأَجود ، والآخر يحتمل أَمرين : أَحدهما أَن يكون «المُلُوك» مُرادًا بهم مَن وَلَدَ مِن الرجال ، والثانى أَن يكون «المُلوك» مَعنيًّا بهم المُلوك من بنى آدم[3] أَى كان لهم كالأَب يَرُبُّهم ويُقيم دُولَهم لأَنَّ الجَدَّ يُسمّى أَباً وهو أَبٌ فى الحقيقة .

٥٦ ولَمْ يَرْضَ[4] قَبْضَتَهُ لِلحُسَامِ
ولا حَمْلَ عاتِقِه لِلرِّداءِ[5]

---

(١) س ، م ، د : «ونجم أبيك» .
(٢) هى الرواية فى س ، د . وجاء فى ظ : ويروى «فقد مات بعد أبيك الملوك» .
(٣) قال ابن المستوفى : لا أعلم ما أراد بقوله من بنى آدم ؟
(٤) س ، د : «ترض» بالبناء للمجهول .
(٥) س : «اللواء» .

٥٦ [ص] يقول : مات جَدُّك وأبوك حَدَثٌ لا تَستقِلُّ بحمل السيف قَبضتُه ولا عاتِقُه بحمل اللواء ، فما زال حتى ساد ، فكذا فكنْ أنت * ، والبيت الذى بعده يوضحه[1] .

٥٧ فمَا زَالَ يَفْرَعُ تِلْكَ العُلى
مَعَ النَّجْمِ مُرْتَدِيًا بالعَمَاءِ

٥٧ – «يَفْرَع» أى يعلوها ، «والعَمَاء» السحَّاب الرقيق .

٥٨ ويَصْعَدُ[2] حتَّى لَظَنَّ الجَهُولُ
أَنَّ لَهُ مَنْزِلًا فى السَّماءِ

٥٨ – ويُروى «حاجةً فى السماء»[3] .

٥٩ وقَدْ جاءَنا أَنَّ تِلْكَ الحُرُوبَ
إِذَا حُدِيَتْ فالتَوَتْ بالحُدَاءِ[4]

٦٠ وعاوَدَها جَرَبٌ لَمْ يَزَلْ
يُعَاوِدُ أَسعَافَها[5] بالهِنَاءِ

٦٠ [ع] «إسعافها» إذا كُسر فهو مصدر أَسعفتُ فلاناً بحاجته إذا

---

(١) قال الصولى : وهذا كقول حصين بن حذيفة يوصى بنيه :

ولوا عُيينة من بعدى أموركم واستوثقوا أنه بعدى لكم حامى
ولى حذيفة إذ ولى وغادرنى يوم المعاناة سما بين أيتام
حتى أخذتُ لوا قومى فقمت به ثم انثنيت إلى الجهمى بالشام

(٢) س : «ويرقى» .

(٣) وهى رواية س ، ق .

(٤) شرحه فى ظ فقال سيقت بالحداء ، أى كانت لا تجيب لأنها صعبة .

(٥) س : «أشعلتها» ظ : ويروى «يعاود أشعرها» . وقال والأشعر ما أحاط بالظافر .

قضيتَها له وعاونتَه عليها ، وإذا رويت «أَسعافَها» بفتح الهمزة فهو جمع سَعَف والسَّعَفُ داءٌ يُصيب البعير فى رأسه فيَتمعَّطُ منه وَبَرُه ، فإن كان السَّعَفُ يُهنأ كما يُهنأُ الجَرَبُ فالمعنى على ذلك وإلاَّ فهو مستعار . «والهِنَاء» ما يُداوىَ به الجربُ من القَطِران أو نحوه* . فى الأَصل «أَشْعافَها» أَى أَعاليها .

٦١ ويَمْتَحُ سَجْلًا لَها كالسِّجال
ودَلْوًا إذا أُفرِغَتْ كالدِّلاءِ

٦١ – ويُروى «مَتَحْتَ بِسِجْلٍ»[1] و «دلوٍ» . و «السَّجْل» الدّلو المَلْأَى ماءً أَو القريبة من الملء ، «والسَّجْل» مُذكَّر ، والغالب على الدَّلْو التأنيث وربما ذُكِّر ، قال عَدِىّ بن زيد :

فهو كالدَّلْوِ بكفِّ المُسْتَقِى خَذَلَتْ منه العَراقِى فانجَذَمْ

[ص] يقول : أَعطيتَ فى البأس والصبر والجُود سَجْلاً واحدًا ودلوك الواحدةُ مثلُ دِلاءٍ كثيرة لغيرك[2] .

٦٢ ومِثْلُ قُوَى حَبْلِ تِلْكَ الذِّرَاعِ
كانَ لِزَازًا لِذَاكَ الرِّشَاءِ

٦٢ – (ع) : قوله «تلك الذِّراع» فأَنَّثَ و «الذِّراع» مُؤنَّثة فى معظم كلامهم ، وذكَرَ الفرَّاءُ أَنَّ تذكير الذِّراع لغة عُكْلِيَّة واستشهد على أَنَّ التذكير جائز بقولهم فى اسم البلد أَذرِعَات ، لأَنَّ أَذرعات جمع أَذْرِعَة وأَذرعة

---

(١) هى الرواية فى س .

(٢) قال ابن المستوفى مستدركاً على كلام الصولى : لا معنى لذكر الجود مع ذكر الحرب ، وإنما أراد الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك ، وإذا كان سجله الواحد كسجال كثيرة ودلوه الواحدة كدلاء كثيرة لم يقم له أحد فتكون كل الأيام له لا عليه .

جمع ذِرَاع فى حال التذكير مثل حِمار وأَحْمِرة ، ولو جُمِع مُؤنثاً لقيل أَذرُع فوجب أَن يُقال فى الجمع أَذرُعاتٍ بضم الرَّاء [ع] «وحَبْل الذِّراع » أَعظمُ عُرُوقهِ ، وهو كلام قديم ليس ممّا استعاره الطائى ، وقد يجوز أَن يعنى بـ «حبل الذِّراع » ما امتدَّ منها . وقوله «لِزازًا لِذاكَ الرِّشاءِ » أَصلُ هذا فى بنى آدم ، يُقال فلان لِزَازُ خِصْمٍ أَى يُلَزُّ به[1] .

٦٣ فلا تُخْزِ أَيَّامَه الصَّالحاتِ
وما قَدْ بَنَى مِنْ جَلِيلِ البِنَاءِ

٦٤ فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنْ لَنْ تُحِبَّ
شَيْئًا كحُبِّكَ كَنْزَ[2] الثَّناءِ[3]

---

(١) قال الصولى فى شرحه : مثلك يقوم بمثل هذا .

(٢) س ، ظ : « غير الثناء » وفى ظ : « شيئاً يحب ككنز » وقال فى شرحه أى قد علم الله أن أباك لم يحب شيئاً كحبه إياك إلا الثناء فإنه كان يحبه ، فلا تخز أيامه الصالحات لهذه المحبة التى كانت منه لك وشيد ما قد بناه .

(٣) وهنا تنقطع نسخة البارودى التى رمزنا إليها بالرمز « با » وقد جاء بآخر هذا المجلد « تم الجزء الثالث من شعر أبى تمام الطائى ويتلوه بمشيئة الله وعونه الجزء الرابع » . وهذا الجزء مصور عن الأصل الموجود بدار الكتب تحت رقم ٥٧٣ وقد قيد باسم الجزء الثالث من شرح أبى تمام للصولى على حين أنه شرح التبريزى وإنما جاء الخطأ فى فهرسته مما كتب على رأس الورقة الأولى .

وقال ابن المستوفى عقب هذه القصيدة : وليس فى شعر أبى تمام قصيدة أردأ من هذه وأغمض من معانيها وأقبح من مقاصده فيها ، وأتيت بها جمعاء لاحتياج كل بيت منها إلى تفسير . وجاء فى ظ أيضاً أن أبا العلاء زاد فيها قوله :

فما أَنت مِنْ رَجْعِ رَبْعٍ قَوِىَ سأَلتَ لرِيًّا وربعٍ خَلاءِ
يُعاقِبُه مُغْدِقٌ مُطْبِقٌ مَلِيءُ العزَالَى بَوَبْلٍ رَوَاءِ
وتَصنعُ فيه كوَشْيِ البرُود ذُيُولُ الشمالِ مع السَّافياءِ

١٨١

وقال يُعزِّى محمَّدَ بنَ سَعِيدٍ بأَبيه :

١ أَمُحَمَّدَ بنَ سَعِيد ادَّخِرِ الأُسَى[١]
فيها رُوَاءُ الحُرِّ يومَ ظِمَائِهِ

فى الأَول من الكامل والقافية متدارك .

١ – ويُروى «إنَّ جَوَى أُسىً فيه » ويروى : «إنَّ جَوى أُسًى فيها » والرواية الجيّدة «ادَّخِرِ الأُسَى » و «الأُسى » جمع أُسوة وهى التأَسِّى والتعزّى ، يقال إسوة وأُسوة . [ع] «ورُواء الحُرِّ » أَرادبه رِيَّه ، وإنما أَقام الماءَ الرُّواءَ مقامَ الرّى لأَنه يُروَى به . ومَن روى «دَواء » بالدال فقد صَحّف لأَنَّ مذهب الطائى فى الصناعة طريق معروف فلم يكن يعدل عن «الرُّواء » فى هذا البيت . ومَدَّ «الظِّماء » وهو مهموز مقصور ، يقال ظَمَأٌ مِثل خَطأ ، وقد فعل ذلك فى غير هذا الموضع ، والقياسُ يُطلِق ذلك وما هو أَشدُّ منه[٢] .

٢ أَنتَ الذى لا تُعْذَلُ الدُّنيا إذا
ما النَّائِباتُ صَفَحْنَ عَنْ حَوْبائِهِ[٣]

٣ لَوْ كانَ يَغْنَى حازِمٌ عَنْ واعِظ
كنتَ الغَنِىَّ بِحَزْمِهِ وذَكائِهِ

---

(١) د : «إن أسى الفتى » ورواية الأصل بهامشها – ظ « إن جوى الأسى » .

(٢) قال الصولى « يوم ظمائه » أى يوم مصيبته . وجاء فى ظ وقيل إذا ظُمِىء إلى الميت . وقيل ادخر الأسى أى ليوم القيامة ، ويكون « يوم ظمائه » يريد به يوم القيامة .

(٣) « الحوباء » النفس .

٤ لَسْتَ الفَتَى إنْ لم تُعَرِّ مَدَامِعًا
مِنْ مائها والوَجْدُ بَعْدُ بِمائِهِ [١]

٥ وإذا رأَيتَ أَسَى امرئٍ أَوْ صَبْرَه
يَوْمًا فقَدْ عَايَنْتَ صُورَةَ رَائِهِ

٢ ، ٥ – (ع) : هذا شيء استعمله الطائى وغيرُه ، فأَمَّا مذهب سيبويه فى ذلك فإذا حُمِل عليه كان كالعيب لأَنه لا يجعل همزة « حَوْبائه » وما كان مثلها إذا خَفَّف فى هذا الموضع ياءً خالصة ولكن يكون بين بين ، وياء « رايه » ياءً خالصة لا يجوز قلبها إلى الهمزة فى هذا الموضع فيقع الاختلاف فى الرَّوىّ . فأَمَّا غير سيبويه فلا يبعد فى مذهبه أَن يجعل همزة « حَوْبائه » ومثلها إذا خَفَّف ياءً وهو مذهب ضعيف ، ونحوٌ من ذلك ما جاء فى شعر أَبى النجم لأَنه قال :

هَلْ تَعرِفُ الرَّبْعَ عَفَتْ جِوَاؤُهْ

وقال فيها :

وعَزَّ شَأْوَ المُغْرِبينَ شَاوه

فواو « شأْوُه » لا يجوز أَن تُهمز ، وهمزة جِواؤه » لا يجوز أَن تُجعل واوًا خالصة [٢] .

---

(١) جاء فى ظ : قال الجوهرى : « المدامع » المآقى وهى أطراف العين ، يقول إن لم تخلها من مائها – وهو الدمع – بالبكاء فتفنيه ووجدك باق بمائه لم تستَرح منه بالدمع الذى ذكروا أن فيه راحة الواجد وتخفيف ما به .

(٢) قال ابن المستوفى مستدركاً على أبى العلاء : إذا جعل همزة « حوبائه » ياء خالصة ولا تكون بين بين جازت أن تقع روياً مع ياء « رأيه » لأنه ياء خالصة فى الأصل . وقوله « لا يجوز قلبها فى هذا الموضع » بعيد من القول الصحيح ، لأنه لا يجوز قلبها أبداً إذ ليست بهمزة ، والهمزة إذا كانت بين بين كانت فى حكم المخففة ، وإذا كانت كذلك لم يجز مع ياء « رأيه » الخالصة فيختلف الرويّان ، وما نسبه إلى غير سيبويه

٦ إِنِّى أَرَى تِرْبَ المُروءَةِ باكِيًا
فأَكادُ أَبكِى مُعْظِمًا لِبُكَائِهِ

٦ – «تِرْبَ المودَّة» أكثر ما يُستعمل «التِّرْب» فى النِّساء ، يُقال فلانة تِرْبُ فلانة إذا كانت لِدَةً لها ، وحكى بعضُ أهل اللغة أنه يُقال تِرْب فى المذكر وتِرْبَة فى المؤنث ، والذى يَتردّد فى الشعر القديم عَوانٌ أَتراب وجَوارٍ أَتراب ، ولا يكاد يُستعمل ذلك فى المذكّر .

٧ حَقٌّ على أَهْلِ التَّيقُّظِ والحِجَى
وقَضَاءُ طَبٍّ عالمٍ بِقَضائِهِ[1]

٨ أَلَّا يُعزَّى جَاذِعٌ بِحَمِيمِهِ
حتَّى يُعزَّى أَوَّلًا بِعَزائِهِ[2]

وضعّفه فهو الذى حكاه عن سيبويه إلا نه لم يذكر فيه أن يكون بين بين ، وقوله فواو « شأوه » لا يجوز أن تهمز صحيح . ولقائل أن يقول أهمزها كما همزت واو « أدؤر » و « أسؤق » . . . ثم قال : وأغفل أبو العلاء – رحمه الله – القول فى همزة « رائه » وهى فى هذا الموضع لا تكون إلا مبدلة لأن المخففة فى حكم المحققة بدليل رؤيا ونؤى إذا خُفّفتا ، قاله أبو الفتح ابن جنى .

(١) قال الصولى كذا رواه أبو مالك ، وغيره يرويه « لا يفعلون الأمر دون قضائه » فعلى هذه الرواية الهاء فى « قضائه » للحق ، والأول أجود . ورواية د : « لا يقطعون الأمر » وذكرت رواية الأصل. وقال فى ظ : « وقضاء طب » معطوف على «حق» . وقال : وروى العبدى «وقضاء طب» بالكسر ، وقوله « عالم بقضائه » هو الله تعالى .

(٢) قال فى ظ : أى لفقده الصبر .

١٨٢

قافية الباء

وقال يرثى غالب بن السَّعْدِى :

١ هوَ الدَّهْرُ لا يُشْوِى وهُنَّ المَصائِبُ
وأكثرُ آمالِ الرِّجالِ كَواذِبُ

الثانى من الطويل والقافية متدارك .

١ ـ أصل «الإشواء» أن يرمى الرجلُ فيصِيبُ الشَّوَى وهى القوائم ، وذلك خطأ للغرض إذْ كان المُراد هو المَقْتل ، ثم كثرَ ذلك حتى قِيل أشوَى فى معنى أخطأ .

و «آمالِ النفوسِ»[1] أيضاً .

٢ فيا غالِبًا لا غَالِبٌ لِرَزِيَّةٍ
بَلِ المَوْتُ لا شَكَّ الذى هوَ غَالِبُ

٢ ـ (س) «فيا غالبٌ لا غالبٌ لرزيَّة» و «ياغالباً» أيضاً .

(ع) : إذا صَحَّت الرواية على هذا اللفظ فقوله : «يا غَالباً» نداء للذى يرثيه واسمُه غالب، وتنوين العَلَم المُنادَى محسوبٌ من الضرورات ، والنحويُّون فيه مختلفون ، بعضهم يختار النصب وبعضهم يختار الرفع ، وهذا البيت يُنشد نصباً :

ضَرَبَتْ صدرَها إلىَّ وقالتْ يا عَدِيًّا لقد وقَتْكَ الأَواقى

(١) هى رواية س ، د ، وجاءت رواية الأصل بين السطور فى د .

وبيت الأَحوص يُنشد على وجهين :

سلامُ اللهِ يا مَطرٌ عليهـا وليس عليكَ يا مَطرُ السَّلامُ

٣ وقلتُ أَخى ، قالوا أَخٌ ذُو قَرابَةٍ ؟
فقلتُ ولكنَّ الشُّكولَ أَقارِبُ

٣ـ (س) «فقلت لهم إنَّ» و «فقلتُ نَعم إنّ» [ع] حَكى عمّن سأَله أَنهم قالوا : أَخ ذو قَرابة ؟ وهذا يجب أَن يكون على معنى الاستفهام منهم، فحذِفتْ الأَلفُ لعلم السامع . «والشُّكُول» جمع شِكْل، يقال هم أَشكال وشُكُول أَى بعضُهم يشبه بعضاً .

٤ نَسِيبىَ فى عَزْمٍ ورَأْى ومَذْهَبٍ
وإِنْ باعَدتْنا فى الأُصُولِ المَنَاسِبُ

٥ كأَنْ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا كأَنَّ فتَنثنى
إِلى قَوْلهِ الأَسماعُ وهْىَ رَواغِبُ [1]

٦ ولم يَصْدَعِ النَّادِى بلَفظةِ [2] فَيْصَلٍ
سِنَانَيّةٍ [3] فى صَفْحَتَيْها [4] التَّجارِبُ

---

(١) ظ « لواغب » وقال معييات ، ويروى « رواغب » . وفى طرة النسخة العجمية كان الرجل فصيحاً وكان يحسن التشبيه فتميل إليه الأسماع لحسنه وإصابة التشبيه ، وهذا معنى قولهم فى ابن المعتز ، وقيل فى ابن الرومى ، إذا قال كأن فأنصتوا له .

(٢) س ، د : « بخطبة » ورواية الأصل بين السطور فى د .

(٣) قال فى ظ منسوبة إلى القوم الذين منهم هرم بن سنان أو شبهه بالسنان .

(٤) س ، د ، ظ : « قد دربتها » وهى بهامش الأصل بخط مخالف .

٧ ولَمْ أَتَسقَّطْ[1] رَيْبَ دَهْرِى بِرَأْيِهِ
فَلَمْ يَجتمِعْ لى رأيُهُ والنَّوائِبُ

٨ مَضَى صَاحِبى واستخلَفَ البَثَّ والأَسَى
علَىَّ فلى مِنْ ذا وهاذَاكَ صاحِبُ

٩ عَجِبتُ لِصَبْرِى بعدَه وهْوَ مَيِّتٌ
وكُنْتُ امْرِءًا أَبكى دَمًا وهْوَ غائِبُ

١٠ على أَنَّها الأَيَّامُ قد صِرْنَ كُلَّها
عَجَائِبَ حتَّى ليسَ فيها عَجَائِبُ !

---

(١) س ، د ، ظ : «ولم أتجهم» وهى بهامش الأصل بخط مخالف . وقال فى ظ وروى الروايتين: «أتسقط» أى أطلب سقطاته ،و « أتجهم » من العبوس، أى لم يكن الدهر عندى ذى سقطات ، أو لم ألق ريب دهرى وهو جهم الوجه برأيه ومشورته فينصرف عنى وهذا من باب نفى الشىء بإيجابه .

١٨٣

وقال يرثى محمّد بن الفَضْل الحِمْيرى ، ويُقال أبا العباس محمّد بن عيسى الجُرجانىّ :

١ رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ العِتَابِ
مُرْصِدٌ بالأَوْجَالِ والأَوْصَابِ

٢ جَفَّ دَرُّ الدُّنيا فَقَدْ أَصبحتْ تَكـ
ـتَالُ أَرْوَاحَنَا بغيرِ حِسَابِ

٣ لَوْ بَدَتْ سافِرًا أُهِينَتْ ولكنْ
شَعَفَ الخَلْقَ حُسْنُها فى النِّقابِ

٤ إن رَيْبَ الزَّمان يُحسِنُ أَنْ يُهْـ
ـدِى الرَّزَايا إلى ذَوِى الأَحْسَابِ

٥ فَلِهَذا يَجِفُّ بَعْدَ اخضرارٍ
قبلَ رَوْضِ الوِهَادِ رَوْضُ الرَّوابى

٦ لَمْ تَدُرْ عَيْنُه عنِ الحُمْسِ حتَّى
ضَعْضَعتْ رُكْنَ حِمْيرَ الأَرْبَابِ [١]

[من الخفيف الأول]

(١) قال الصولى كذا رواه أبو مالك وغيره يرويه :
لم تنق عينه كرى النوم حتى ضعضعت ركن حمير الأرباب
وكان أبو مالك ينكره .

٦ ـ [ص] «الحُمْس» كِنانة . وكان مات صديق له كِنانيّ بالغَداة ، ومات هذا الحِمْيريّ بالعَشِيّ .

٧ بَطَشَتْ مِنهمُ بِذُؤْلوَةِ الغَوَّا
صِ حُسْنًا ودُمْيَةِ المِحْرَابِ

٧ ـ يعنى بِـ «دُميةِ المِحْراب» الصورة التى فى أكرم موضعٍ فى البيت وهو المحراب ، قال قيس بن الخطيم :

نَمتْهُ اليهودُ إلى قُبَّةٍ دُوِيْنَ السماء بِمحرابها

وإنما يعنى بـ «دمية المحراب» هذا المرثىَّ لأنه كان زَيْناً لقومه كما تُزيّن الصورةُ لما هى فيه .

٨ بالصَّرِيحِ الصَّرِيحِ والأَرْوَعِ الأَرْ
وَعِ مِنْهمُ وباللُّبَابِ اللُّبَابِ

٩ ذَهَبَتْ يا مُحمَّدُ الغُرُّ مِنْ أَيّا
مِكَ الوَاضِحاتِ أَىَّ ذَهَابِ!

١٠ عَبَّسَ اللَّحْدُ والثَّرَى مِنكَ وَجْهًا
غَيْرَ ما عَابِسٍ ولا قَطَّابِ

١١ أَطفَأَ اللَّحْدُ والثَّرَى لُبَّكَ المُسْ
رَجَ فى وقتِ ظُلْمَةِ الأَلبَابِ

١١ ـ [ع] «لُبّك المُسرج» يجوز بكسر الراء وفتحها ، والكسر أشدُّ مبالغةً لأنه يجعله مُوقِدًا للسُّرج[1] .

(١) قال ابن المستوفى : فتح الراء أجود لأنه قابل به ظلمة الألباب فجعله مضيئاً ، وإذا كسر الراء يحتاج إلى تقدير مفعول محذوف وإن كان جائزاً ، لكن إذا لم يفتقر المعنى إلى تقدير محذوف كان أولى .

١٢ وتَبَدَّلتَ مَنْزِلًا ظاهِرَ الجَدْ
بِ يُسَمَّى مُقَطِّعَ الأَسبَابِ

١٣ مَنْزِلًا مُوحِشًا وإِنْ كانَ مَعْ
مُورًا بِحِلِّ الصَّدِيقِ والأَحبابِ [١]

١٤ يا شِهَابًا خَبا لِآلِ عُبَيْدِ اللّ
هِ أَعزِزْ بِفَقْدِ هذا الشِّهابِ !

١٤ – ويروى «بفقد ذاكَ الشهابِ» و «بفقدهِ من شهابِ» .

١٥ زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَفَتَّقَ عَنها الـ
ـمَجْدُ فى مَنْبِتٍ أَنِيقِ الجَنَابِ

١٦ خُلُقٌ كالمُدَامِ أَوْ كَرُضابٍ [٢] المِسْـ
ـكِ أَوْ كالعَبِيرِ أَوْ كالمَلابِ

١٧ وحَيًا ناهِيكَ فى غيْرِ عِيٍّ
وصِبًا مُشْرِقٌ بغيرِ تَصَابِ

١٦ ، ١٧ – [ع] «العَبِير» الزعفران ، وقيل بل هى ضروب تُجمع من الطيب* . «والمُلاب» من طِيب الأَعراب ، وقدزعم قوم أَنه الزعفران ، ولا شك أَنه أَحمر ، يدلك على ذلك قول الهُذلىّ :

* بهنَّ مُلَوَّبٌ كدَمِ العِبَاطِ *

(١) كذا الرواية فى الأصل ، وفى بعض النسخ من حلّ بالمكان حلاً وحلولا ، وفى نسخة م «بجُل» وفيها «الأصحاب» و «الأحباب» .

(٢) قال الصولى : ويروى «كسحيق المسك» .

وقال قوم «المُلاب» كلمة مُعرَّبة . وقوله «ناهيك» يجوز أن تحمله على قوله ناهٍ لك فيكون ناهيك نكرةً ، وهذه الكلمة تُستعمل على هذا الحدّ فيقال مررتُ برجلٍ ناهيكَ من رجل أى حسبُك به ، كأنه بنهاك أن تطلب غيرَه أو كأنك إذا انتهيتَ إليه فقد بلغت الغاية . ويجوز أن تجعل «ناهيك» فى موضع ابتداء ويكون الخبر محذوفاً ، فيكون «ناهيك» حينئذٍ مُعرفةً بالإضافة إلى الكاف ، والوجه الأول أشبه[1] .

١٨ أَنزَلَتْهُ الأَيَّامُ عن ظَهْرِها مِن
بَعْدِ إثباتِ رِجْلِهِ فى الرِّكابِ

١٩ حِينَ سَامَى الشَّبَابَ[2] واغتدَتِ الدُّن
يا عليهِ مَفْتُوحَةَ الأَبوابِ

٢٠ وحَكى الصَّارِمَ المُحَلَّى سِوَى أَنَّ
(م) حُلاهُ جَوَاهِرُ الآدابِ

٢١ وهْوَ غَضُّ الآرَاءِ والحَزْمِ خِرْقٌ
ثُمَّ غَضُّ النَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ

٢٢ قَصَدتْ نحوَهُ[3] المَنِيَّةُ حتَّى
وَهبَتْ حُسْنَ وجْهِهِ لِلتُّرابِ

---

(١) قال الصولى : قد عيب هذا عليه ، وقالوا الناس يرتفعون من الدون إلى الأعلى وهذا من الأعلى إلى الدون ، جعل خلقه كالمدام والمسك ثم قال كالعبير . وفى هذا وجوه : منها أن يكون أراد تقديم المسك والمدام فى النية وإن أخره لفظاً لاستواء القافية كما قال الله تعالى : (من بعد وصية يوصى بها أو دين) والدين قبل الوصية ، ومنها أن يقول خلقه عندى كالمدام أو المسك فإن قيل أفرطت وعيب إفراطى علىّ فهو كالعبير ، فإن عيب فهو كالملاب ، وهو ضرب من الطيب ، وهو الخلوق .

(٢) م : «الشهاب» وقال الصولى ويروى «حين تم الشباب» ويروى أيضاً «حين وافى الشباب» .

(٣) هـ ش : و «قصدَتْ قصده» .

١٨٤

وقال يرثى إسحقُ بن أَبى رِبْعىّ :

١ أَىُّ نَدًى بينَ الثَّرَى والجَبُوبِ
وسُؤْدُدٍ لَدْنٍ ورَأْىٍ صَلِيبِ !

الأَول من السريع والقافية مترادف .

١ ــ « الحَبُوب » يُقال إنها الأَرضُ الغليظة ، وقيل الطين اليابس ، وقيل هى ظاهر الأَرض .

٢ يا ابنَ أَبى رِبْعِىٍّ اسْتُقْبِلَتْ مِنْ[1]
يومِكَ الدُّنيا بِيَوْمٍ عَصِيبِ

٣ شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لو اسطا
عوا لَشَقُّوا ما وَرَاءَ الجُيُوبِ

٤ كنتَ على البُعْدِ قَرِيبًا فَقَدْ
صِرْتَ على قُرْبِكَ غيرَ القَرِيبِ

٥ رَاحَتْ وُفُودُ الأَرضِ عن قَبْرِه
فارِغَةَ الأَيْدِى مِلاءَ القُلُوبِ

٦ قد عَلِمَتْ ما رُزِئتْ إِنَّمَا
يُعرَفُ فَقْدُ الشَّمسِ بعدَ[2] الغُرُوب

---

(١) ظ : ويروى « استأنفت من عمرك » .

(٢) ظ : ويروى « عند الغروب » وقال وقد كرر هذا المعنى فقال :
بَيَّنَ البينُ فقدها قلّما يعـ رف فقـدُ الشمس حتى تغيبا

٧ إذا البَعِيدُ الوطنِ انتَابَه
حَلَّ إلى نِهْيٍ وجِزْعٍ[1] خَصِيبِ

٧ـ «النِّهْى» والنَّهْى بكسر النون وفتحها موضع يجتمع فيه الماء وله مانع يمنعه أن يسيل ويفترق فكأنه ينهاه عن ذلك .

٨ أدنَتْه أَيْدِى العِيسِ مِنْ ساحةِ
كأَنَّها مَسْقَطُ رَأْسِ الغَرِيبِ

٩ أَظلَمَتِ الآمالُ مِنْ بَعْدِه
وعُرِّيَتْ مِنْ كلِّ حُسْنٍ وطِيبِ

١٠ كانَتْ خُدودًا صُقِلَتْ بُرْهَةً
فاليومَ صارَتْ مَأْلَفًا لِلشُّحُوبِ

١١ كَمْ حاجَةٍ صارَتْ رَكُوبًا بهِ
ولم تَكُنْ مِنْ قَبْلِه بالرَّكُوبِ !

١١ ـ أصل « الرَّكُوب » فيما يُركب من الحيوان وهى الرَّكوبة ، وقد قُرئ «رَكُوبهم » و«رَكُوبتهم » ويقال عَوْد رَكُوب أى يصلح لأن يُركب ، ويقال ذلك للطريق أيضاً ، قال الشاعر :

تنَحَّ كذا يا دَمْخُ نستأنِسِ الغَضَا فإنَّكَ عَوْدٌ لِلفلاةِ رَكُوبُ

«دَمْخ» جبل[2] [ع] والمعنى أن هذا المذكور يُسهّل الحاجةَ الصعبة حتى تلين وتُركب .

---

(١) ظ : ويروى « وواد خصيب » .

(٢) قال فى اللسان « ودمخ » اسم جبل ، قال طهمان بن عمرو الكلابى :
كفى حزناً أنى تطاللتُ كى أرى ذُرى قلتى دمخ فما تُرَيانِ

١٢ حَلَّ عُقالَيْها كَما أَطلَقتْ
مِنْ عُقَدِ المُزْنَةِ رِيحُ الجَنُوبِ

١٢ – [ع] قوله : « ريح الجنوب » إنما أصل الكلام أن يُقال الريح الجنوب وكذلك الريح القَبُول والريح الشمال ، فإذا قيل ريح الجنوب جاز أن يُرَاد ريح من الجنس الذى يُعرف بالجنوب ، ولا اختلاف أنه سائغ ، وهو من باب قولهم مسجد الجامع وصلاة الأُولى .

١٣ إذا تَيمَّمناه فى مَطْلَبٍ
كانَ قَلِيباً أَوْ رِشَاءَ القَلِيبِ

١٣ – ويُروى « كان قَلِيباً ورشاءَ القَلِيب » أى لا يُحوجنا إلى وسيلة إليه ، والرواية الأُولى بخلاف هذَا : يقول هو شفيعى إلى نفسه ، أى شفيع جُوده إلى نفسه[٢] .

١٤ ونِعْمَةٍ منهُ تَسرْبلتُها
كأَنَّها طُرَّةُ ثَوْبٍ قَشِيبِ

١٤ – طُرَّة كل شىءٍ جانبُه .

١٥ مِن اللَّواتى إنْ وَنَى شاكِرٌ[٣]
قامَتْ لِمُسْدِيها مَقَامَ الخَطِيبِ

---

(١) قال الصولى ويروى « حل عقالاها » والأول آأجود .

(٢) ظ : وإنما أراد قوله :

وإذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قليبا

(٣) ظ : ويروى « إن ونى شكرها » .

١٦ مَتَى تُنِخْ تَرْحَلْ بتفضِيلِهِ
أَوْ غابَ يومًا حَضَرتْ بالمَغِيبِ

١٦ ـ (س) «متى تُنخ» [ع] يقول : أى تُنِح بهذا المذكور ترحل هذه القصائد بتفضيله ، ويجوز فتح التاء وضمّها ، فإذا فَتحتَ جعلتَ الرحيلَ للقصائد ، وإذا ضممتَ التاءَ فالمعنى أنها كالنُّوق التى تُشدُّ عليها الرِّحال ، يقال رحلَ البعيرَ يُرحله رَحْلاً ؛ ثم قال : «أو غاب» فجاء بالفعل الماضى وهذا جائز على تقدير الفعل المضارع ، لأنك إذا قلت إن قُمتَ قمتُ فالمعنى إن تقمْ أَقُمْ ، ولو كان ما بعد «أو» مثل ما بعد «متى» فى أول البيت لكان أحسن ليكون المستقبل معطوفاً على مثله .

١٧ فما لنَا اليومَ ولا للِعُلى
مِنْ بَعْدِه غَيْرُ الأَسَى والنَّحِيبِ

١٨٥

وقال يَرْثِى أَحمدَ بنَ هارون القُرَشىّ [١] :

١ دَابُ عَيْنِى البُكاءُ والحُزْنُ دَابِى
فاترُكينى - وُقِيتِ ما بِى - لِمَا بِى

من الخفيف الأَول

١ - [ع] « الدّأب » و « الدَّأب » العادة ، يقال ما زال ذاك دَأْبُهُ ودَأَبهُ ، والأَصل الهمز ولكن الهمزة فى القافية تُجعل أَلفاً . ويقال تركتُه لما به كأَنه فى معنى قولهم أَسلمتُه لما يُلاقيه إذا لم يكن فيه حيلة .

٢ سَأُجَزِّى بَقَاءَ أَيَّامِ عُمْرِى
بَيْنَ بَثِّى وعَبْرَتى واكتِئَابِى [٢]

٣ فيكَ يا أَحمدَ بنَ هارونَ خَصَّتْ
ثُمَّ عَمَّتْ رَزِيئَتى ومُصَابى

٤ فجعَتْنِى الأَيَّامُ فيكَ فأُنْسِى
فى اختلالى وعِصْمتِى فى اضطرابى

٥ فَجعَتْنى الأَيَّامُ بالصَّادقِ النُّطْ
ق [٣] فَتَى المَكْرُماتِ والآدابِ

(١) جاء فى الأصل على رأس هذه المرثية أنها فى نسخة فى رثاء هارون بن عبد العزيز الطائى .
(٢) م : « وانتحابى » .
(٣) « الود » بين السطور فى الأصل كتبت بخط مخالف .

٦ بخَلِيلِ دُونَ الأَخِلَّاءِ لا بَلْ
صاحِبى المُصطَفَى على أَصحابى

٧ شَمَّرِىٌّ [١] يَحتلُّ مِنْ سَلَفِىْ مَرْ
وَانَ فى الأَكْرَمِينَ والصُّيَّابِ

٨ أَفلَمَّا تَسربَلَ المَجْدَ واجْ
تَابَ مِنَ الحَمْدِ أَيَّما مُجتَاب

٩ وتَراءَتْهُ أَعْيُنُ النَّاظِرِيهِ
قمَرًا باهِرًا ورِئْبَالَ غابِ

١٠ وعَلا عارِضَيْه ماءُ النَّدَى الجَا
رِى وماءُ الحِجَى وماءُ الشَّبَابِ

١١ أَرسَلَتْ نحوَهُ المَنِيَّةُ عَيْنًا
قَطَعَتْ مِنه أَوثَقَ الأَسبابِ ! [٢]

---

(١) « الشمرى » الكيس الماضى فى الأمور والمجرب .

(٢) وجاء فى ظ : وروى أبو العلاء هذا البيت ولم أره لغيره :

سافرت بغتــة إلى الموت والحشـ ـر به فى مسافرى لا إيابِ

وقال إذا روى « مسافَرِىّ » فهو تثنية « مسافر » من قولك سافر الرجل مُسَافَراً فى وزن راغم مراغماً ، والفعل إذا بلغ أربعة فازاد استوى لفظ مفعوله ولفظ مصدره واسم الزمان منه والمكان . وأضاف « مسافر » ، إلى « إياب » لأن « لا » غير محتسب بها فى هذا الموضع كأنه قال فى مسافرى غير إياب ، وهذا كما قال الجعدى :

تركنى حين لا مال أعيش بــه وحين جُنَّ زمان الناس أو كَلِبا

ينشد بخفض « مال » والرفع أجود . ومن روى « مسافرى » على الجمع فهو جمع مُسافِر كما يقال سافر فلان فى المسافرين يراد معهم فى صحبتهم .

١٨٦

وقال يَرثى امرأَةَ محمّدِ بنِ سَهْل وهى أُختُ مَهْران بن يحيى[١] :

١ جُفُوفَ البِلى أَسرعْتِ فى الغُصُنِ الرَّطْبِ
وخَطْبَ الرَّدَى والمَوْتِ أَبرحْتَ مِنْ خَطْبِ !

فى الأُول من الطويل .

١ ـ يُقال أَبرحتَ أَى جئتَ بالبَرْح أَى بالأَمرِ البَرْح وهو الشَّاق ، ويقال للداهية بِنْتُ بَرْح وبَنَات بَرْح ، وقالوا فى المثل بِنْتُ بَرْحٍ شَرَكٌ على رأسك ، قال الشاعر :

فإنى إنْ أُلاقِ بَنَاتِ بَرْحٍ تَجِدْنى لا أَشُدُّ لها حَزِيما[٢]

أَى أَنى أُصابرُها مُعِدٌّ عُدَّتَها .

٢ لقَدْ شَرِقَتْ فى الشَّرْق بالموتِ غَادَةٌ
تَعَوَّضْتُ منها غُربَةَ الدَّارِ فى الغَرْب

٣ وأَلبسنى ثَوْبًا مِنَ الحُزْنِ والأَسَى
هِلالٌ عليهِ نَسْجُ ثَوْبٍ منَ التُّرْبِ

---

(١) لم ترد هذه المرثية فى نسخة م من شرح الصولى ، وتنتهى قافية الباء من باب الرثاء فيها بالقصيدة التى تقدمت ، وكذلك لم يذكر ابن المستوفى فى كتابه شيئاً منها .

(٢) قال فى اللسان (مادة حزم) : والحزيم موضع الحزام من الصدر والظهر كله ما استدار ، ويقال قد شمر وشد حزيمه ، وأنشد :

شيخ إذا حُمِّلَ مكروهةً شَدَّ الحيازيم لها والحزيما

٤ أَقُولُ وقد قالُوا استَراحَتْ بِمَوْتِها
مِنَ الكَرْبِ رَوْحُ المَوْتِ شَرٌّ مِنَ الكَرْبِ

٥ لَقَدْ نَزلَتْ ضَنْكًا مِنَ اللحدِ والثَّرَى
ولَوْ كانَ رَحْبَ الذَّرْعِ ما كانَ بالرَّحْبِ

٦ وكُنْتُ أُرَجِّى القُرْبَ وهْىَ بَعِيدةٌ
فَقَدْ نُقِلَتْ بُعْدِى عنِ البُعْدِ والقُرْب

٧ لهَا مَنزِلٌ تحتَ الثَّرى وعَهِدْتُها
لها مَنْزِلٌ بينَ الجَوانِحِ والقَلْبِ

١٨٧

قافية الدّال

وقال يَرثى عُميرَ بنَ الوليد ، وهى أَوّلُ أَشعارِه [١]

١ أَعِيدِى النَّوْحَ مُعْوِلةً أَعِيدى
وزِيدى مِنْ بُكائِكِ ثُمَّ زِيدِى

٢ وقُومِى حاسِرًا فى حاسِراتٍ
خَوامِشَ لِلنُّحورِ ولِلخُدُودِ

٣ هُوَ الخَطْبُ الذى ابتَدَعَ الرَّزَايا
وقالَ لِأَعْيُنِ الثَّقَلَيْنِ جُودِى

---

(١) لا ندرى على وجه التحقيق أهذه المرثية هى أول شعر قاله أبو تمام كما جاء فى نسخ التبريزى وكما ذكر ابن المستوفى أم هى كما قال الصولى من أول أشعاره وهو الأرجح . فقد مات عمير بن الوليد هذا فى حوادث مصر سنة ٢١٤ هـ حين استخلفه المعتصم على مصر إذ ثارت القيسية عليه بالحوف وقتلوه ، وكان الذى قتله مبارك الأسود (راجع الولاة والقضاة للكندى) ولكنا نجد أنه فى سنة ٢١٠ هـ أقبل عبد الله بن طاهر سائراً إلى مصر ونزل خندق عبد الله بن السرى فى المحرم سنة ٢١١ هـ وهزمه فقال أبو تمام قصيدة لامية ذكر الكندى بعض أبياتها (ص ١٨١) يذكر فيها انتصار عبد الله بن طاهر وهزيمة ابن السرى وخروجه هارباً إلى بغداد

وأولها :

لعمرى لقد كانت بمصر وقيعة أقامت على قصد الهدى كل مائل

وآخرهـــا :

فأورده بغـــداد يهوى برجله ذميل تراءى فى قلاصَ ذوامل
فاصبح قد زالت ظلال نعيمه وأى نعيم ليس يوماً بزائل ؟

فعلى هذا لا يمكن أن تكون هذه المرثية أول أشعار أبى تمام إلا إذا أريد بذلك أنها أول مراثيه .

٤ أَلا رُزِئَتْ خُراسَانَ فَتَاها
غَدَاةَ ثَوَى عُمَيْرُ بنُ الوَلِيدِ

٥ أَلا رُزِئَتْ بِمِسْئُول مُنِيلٍ
أَلا رُزِئتْ بمِتْلاف مُفِيدِ

٦ أَلا إِنَّ النَّدَى والجُودَ حَلّا
بِحيثُ حَلَلْتَ مِنْ حُفَرِ الصَّعِيدِ

٧ بِنَفْسِى أَنتَ مِنْ مَلِكٍ رَمَتْه
مَنِيَّتُه بِسَهْمِ رَدًى سَدِيدِ

٨ تَجلَّتْ غَمْرَةُ الهَيْجاءِ عَنْه
خَضِيبَ الوَجْهِ مِنْ دَمِه الجَسِيدِ

الأول من الوافر والقافية متواتر .

٨ ـ يُقال دم جاسِدٌ وجَسِيد أى قد يَبَسَ ، وقيل بل يُراد به أنه فى لون الجَساد وهو الزعفران .

٩ فيا بَحْرَ المَنُونِ ذَهبْتَ منه
بِبَحْرِ الجُودِ فى السَّنَةِ الصَّلُودِ

٩ ـ [السنة الصَّلود] أى القليلة المطر ، ويقال فَرَسٌ صَلُود إذا كان بطىءَ العَرَق .

١٠ ويا أَسَدَ المَنُونِ فَرَسْتَ منه
غَداةَ فَرسته أَسَدَ الأُسُودِ

١١ أَبِالبَطَلِ النَّجِيدِ فَرَسْتَ منه ؟
نَعمْ وبِقاتِلِ البَطَلِ النَّجِيدِ
١٥ تَرآى لِلطِّعانِ وقَدْ تَراءَتْ
وُجُوهُ المَوْتِ مِنْ حُمْرٍ وسُودِ
١٣ فلمْ يَكُنِ المُقَنَّعَ فيهِ رَأْسًا
خَلا أَنْ قَدْ تَقَنَّعَ بالحَدِيدِ

١٣ ـ يقول لم يكن هذا المرثِيُّ مُقنَّعاً مثل المرأة، ولكن تقنَّعَ بالحديد[1].

١٤ فَيالكِ وَقْعَةً جَلَلًا أَعارَتْ
أَسىً وصَبابَةً جَلَدَ الجَلِيدِ
١٥ ويالَكِ سَاحَةً أَهدَتْ غَلِيلًا
إلى أَكبادِنا أَبَدَ الأَبِيدِ
١٦ وإنَّ أَمِيرَنا لم يَأْلُ نُصْحًا
وعَدْلًا فى الرَّعايَا والجُنُودِ
١٧ أَفاضَ نَوَالُ راحتِه لَدَيهِمْ
وسَامَحَ بالطَّرِيفِ وبالتَّلِيدِ
١٨ وأَصحَرَ دُونَهمْ لِلمَوْتِ حتَّى
سَقاهُ المَوْتُ مِنْ مَقرٍ هَبِيدِ

(١) قال ابن المستوفى : لا يزال أبو تمام يضطره استعمال البديع حتى يخرجه إلى الشيء الشنيع . وأى معنى لقوله : « فلم يكن المقنع فيه رأساً » سوى أن نفى عنه أن يكون امرأة مقنعة ؟ ! نسى ابن المستوفى أنها من أولى أشعاره ، فالضعف والركاكة ظاهران حتى لو لم يك ثمَّ بديع .

١٨ – «المَقِرُ» الصَّبْر أو شيءٌ يُشبهه وهو يُوصف بالمرارة ، و «الهَبِيد» حَبُّ الحنظل وهو غير المقِرِ ولكنه جعل اللفظ الأول وهو «مَقِر» كِنَاية عن كل مُرٍّ ثم أتبعَه بهبيد، لأنه يُحتمل أن يُقال فعالك هَبِيد ، وقوله مَقِر على سبيل التشبيه وحذفَ الآلة .

١٩ وما ظَفِرُوا بهِ حتى قَرَاهُمْ
قَشَاعِمَ أَنْسُرٍ وضِباعَ بِيدِ

٢٠ بِطعْنٍ فى نُحُورِهِمِ مَرِيدِ
وضَرْبٍ فى رُءُوسهِمِ عَنِيدِ

٢١ فيا يَوْمَ الثلَثاءِ اصطَبَحْنا
غَداةً مِنكَ هائِلَةَ الوُرُودِ

٢٢ ويا يَوْمَ الثلَثاءِ اعتُمِدْنا
بِفَقْدِ فيكَ للسَّندِ العَمِيدِ [1]

٢٣ فكمْ اسخَنْتَ منَّا مِنْ عَيُونٍ
وكمْ اعشَرْتَ فينا مِنْ جُدودِ

٢٤ فما زُجِرَتْ طُيورُكَ عَنْ سَنِيحٍ
ولا طَلَعَتْ نُجومُكَ بالسُّعُودِ

٢٤ – جاءَ «بسنيحٍ» هاهنا على مذهب من يتيمّن به .

(١) رواية هذا البيت والذى يليه فى الكندى (ص ١٨١)
فيا يوم الثلاثا كم كئيب رماه الحزن فيك وكم عميد
فكم سخَّنتَ فينا من عيونٍ وكم أعبرتَ فينا من خلود

٢٥ أَلا يا أَيُّها المَلِكُ المُرَدَّى
رِدَاءَ المَوْتِ فى جَدَثٍ خَدِيدِ

٢٥ ـ أى مخدود يقال خَدَّ الأَرضَ إذا حفر فيها حفرًا مُستطيلاً .

٢٦ حَضَرْتُ فِنَاءَ بابِكَ فاعتَرانى
شَجًى ، بَينَ المُخَنَّقِ والوَرِيدِ

٢٧ رَأَيتُ بِهِ مَطَايَا مُهْمَلاتٍ
وأَفراسًا صَوَافِنَ بالوَصِيدِ

٢٨ وكُنَّ عَتَادَ إِمَّا فَكُّ عانٍ
وإِمّا قَتْلِ طاغِيَةٍ عَنُودِ

٢٩ رأَيتُ مُؤَمِّلِيكَ غَدَتْ عليهمْ
عَوَادٍ أَصعَدتْهُمْ فى كُؤُودِ

٣٠ وأَضحَتْ عندَ غيرِكَ فى هُبُوطٍ
حُظوظٌ كُنَّ عندكَ فى صُعُودِ

٣١ وكُلُّهمُ أَعَدَّ اليأْسَ وَقْفًا
عليكَ ونَصَّ رَاحِلَةَ القُعُودِ

٣٢ وأَصبَحتِ الوفودُ إِليكَ وَقْفًا
على أَلَّا مُفَادَ لِمُسْتَفِيدِ

٣٣ لَقَدْ سَخَنَتْ عُيونُ الجُود لمّا
نَوَيْتَ وأُقصِدَتْ غُرَرُ القَصيدِ

٣٣ ـ من قولهم أَقصدَه السهمُ إذا قتله .

١٨٨

وقال يَرثى حَجْوَة بنَ محمّد الأَزْدِى [١] وأَخًا له يُقال له قَرْم :

١ يا دَهْرُ قَدْكَ وقَلَّما يُغنى قَدِى
وأَراكَ عِشْرَ الظِّمْءِ مُرَّ المَوْرِدِ

الأَول من الكامل والقافيه متدارك .

١ ـ [ص] « العِشْرُ » أَبعدُ الإِظماء ، ضَربَه مثلاً لشدّة الدهر[٢] .

٢ ولَقَدْ أُحِيطَ بنا ولم نَكُ صُورَة
بكَ واستُعِدَّ لنا ولمّا نُولَدِ

٣ يا دَهْرُ أَيَّةُ زَهْرَةٍ لِلمَجْدِ لم
تُجْفِفْ وأَيَّةُ أَيْكَة لَمْ تَخْضُدِ !

٣ ـ أَى لم تَكسِرْ ، يقال خضَدْتُ الشجرةَ إذا كسرتَ شَوْكَها . « الخَضِد » العُود يُثْنَى من غير كَسْر .

٤ أَترعتَ للعنْقاءِ فى أَشعَافِها[٣]
كأْسًا تَدَفَّقُ بالذُّعافِ الأَسْوَدِ

---

(١) جاء على رأس هذه القصيدة فى ش :
و « حجوة » اسم مشتق من حجا بالمكان إذا أقام به ، ومنه اشتقاق حجوان أيضاً ، وحكى أن اليمن يقولون حيا الله حجوتك أى طلعتك ، ويقال إن الحجوة اسم للعين .

(٢) وقال الصولى فى بقية كلامه : وجعله مر المورد بعد ما ورد من العشر .

(٣) م : « أسعافها » بالسين وروتها ظ وقال أى أعاليها .

٤ – يجوز أن يعنى بـ «العنقاء» التى يقال لها عنقاء مُغْرِب ، ويجوز أن يعنى بها العُقاب المعروفة .

٥ قَدْ كانَ قَرْمٌ كاسمِهِ قَرْماً وما
ولَدَتْ نِسَاءُ بَنِى أَبِيهِ كأَحمَدِ

٦ نَجْما هُدًى هَذاكَ نَجْمُ الجَدْى إِنْ
حارَ الدَّلِيلُ وذَاكَ نَجْمُ الفَرْقَدِ

٧ هذا سِنانٌ زَاغِبِىٌّ فى الوَغَى
وكأَنَّما هذا ذُبَابُ مُهَنَّدِ

٧ – جعَل السِّنانَ زاغِبيًا وذلك جائز لأَن السِّنان يكون فى الزَّاغبىّ ، والمعروفُ أَنَّ الزاغبىّ من صفات الرُّمح ، وقيل هو الذى إذا هُزَّ فكأَنَّ بعضَ كعُوُبه يَدفعُ بعضاً ، وقيل بل «زَاغب» اسم رجلٍ كان يُقوّم الرِّماح .

٨ وجَبِينُ هذا كالشِّهابِ جَلا الدُّجَى
عنه وهذا كالشِّهابِ المُوقَدِ

٩ ولَنِعْمَ دِرْعا الحَىِّ فى يَوْمَيْهِما
كانا ونِعْمَ الذُّخْرِ كانا لِلغَدِ

١٠ لم يَشْهَدا نَجْوَى ولا حَشًّا لَظَى
حَرْبٍ تُسَعَّرُ بالقَنَا المُتَقَصِّدِ

١١ إِلّا رأَيْنَا ذَا على تلك الرَّحا
قُطْبًا وذَا مِصْباحَ ذَاكَ المَشْهَدِ

١٢ رُزِئتْ بَنُو عَمْرو بنِ عامرٍ الذُّرَى[1]
بِهما وصَوَّحَ نَبْتُ وَادِيها النَّدِى

١٣ وكذا المَنايَا ما يَطأْنَ بِمِيسَمٍ
إلّا على أَعناقِ أَهلِ السُّؤدَدِ

١٤ ولَئِنْ أُصِيبُوا إنَّ تلكَ لَغَيْضَةً
لم تَخلُ مِنْ لَيْثِ هُنالكَ مُلْبِدِ

١٥ ما دَامَ ذاك المَعْدِنُ الزّاكى الثّرَى
فى جِزْعِنَا لَم نَلْتَفِتْ لِلعَسْجَدِ

١٦ تلكَ المَصَائبُ مُشْوِياتٌ كلُّها
إلَّا مُصِيبَةَ حَجْوَةَ بنِ مُحمَّدِ

١٧ ولقَدَ أَصابَ غَلِيلُها مَنْ لم يُصَبْ
ولَصُيِّرَتْ فَقْدًا لِمَنْ لم يَفْقِدِ

١٧ – فى الأَصل :
ولقد أُصيبَ عليهما مَن لم يُصَبْ وَلَصُيِّرَا فَقْدًا لمن لم يَفْقِدِ[2]

١٨ طامِنْ حَشَاكَ أَبَا الحُبَابِ فإنَّها
نُوَبٌ تَرُوحُ على الأَنامِ وتَغْتَدِى[3]

---

(١) م : « الردى » .
(٢) هذه رواية الصولى .
(٣) لم يرد هذا البيت فى م .

١٩ فلقَدْ أَفاقَ مُتَمِّمٌ عن مالِكٍ
وسَلا لَبِيدٌ قَبْلَهُ عَنْ أَرْبَدِ

٢٠ فَلَئِنْ صَبَرْتَ لأَنتَ كوكبُ مَعْشَرٍ
صَبَروا وإِنْ تَجْزَعْ فَغَيرُ مُفَنَّدِ

٢١ هذِى المَعُونَةُ باللِّسانِ ولو أَرَى
عَيْنَ[1] الحِمَامِ لَقَدْ أَعَنْتُكَ باليَدِ

(١) م : « غير الحمام » وهى مذكورة فى هامش ظ .

١٨٩

وقال يَرثى ابنَه مُحمَّدًا :

١ لا يَشْمَتِ الأَعداءُ بالمَوْتِ إنَّنا
سَنُخلِي لهمْ مِنْ عَرْصَةِ المَوْتِ مَوْرِدا

٢ ولا تَحسِبنَ المَوْتَ عارًا فإنَّنا
رَأَيْنا المَنايا قَدْ أَصَبْنَ مُحمَّدا

٣ ولا يَحْسِبِ الأَعداءُ أَنَّ مُصِيبتى
أَكَلَّتْ لهمْ مِنِّى لِسَانًا ولا يَدَا

٤ تَتَابَعَ فى عامٍ بَنِيَّ وإخوَتى
فأَصبَحْتُ إنْ لم يُخْلِفِ اللهُ واحِدَا [1]

[من الطويل]

(١) م : « مفردا » وهى فى هـ ل .

١٩٠

وقال يَرثى خالدَ بن يزيدَ بن مَزْيد :

١ أَأَللهَ إنِّى خالِدٌ بعدَ خالِدٍ
وناسٍ سِراجَ المَجْدِ نَجْمَ المَحامِدِ ؟!

الثانى من الطويل والقافية متدارك .

١ ــ يجوز نصب اسم « الله » سبحانَه وهو أَجود الوجهين ، ويجوز خفضه ؛ ونصبُه على إضمار فعلٍ ، وخفضُه على تقدير حرفِ القَسَم .

٢ وقَدْ تُرِعتْ إثفِيَّةُ العَرَبِ التى
بها صُدِعَتْ[1] ما بينَ تلكَ الجَلامِدِ

٣ أَلا غَرْبُ دَمْعٍ ناصِرٍ لى على الأَسَى[2]
أَلا حُرُّ شِعْرٍ فى الغَلِيلِ مُساعِدى[3] ؟

٤ فَلَمْ تَكْرُمِ العَيْنانِ إنْ لم تُسامِحا
ولا طابَ فَرْعُ الشِّعْرِ إنْ لم يُساعِدِ

---

(١) س : « صدعت » بالبناء للمعلوم . وفى ظ : ويروى « دعمت » وقال الخارزنجى فى شرحه على هذه الرواية أى هو الذى كان يحفظ العرب وينصرها .

(٢) س : « على أسى » .

(٣) س : « مساندى » .

٥ لِتَبْكِ القَوافى شَجْوَها بعد خالدٍ
بُكَاءَ مُضِلَّاتِ السَّماحِ نَوَاشِدِ[1]

٦ لَكانَتْ عَذَارَاها[2] إذا هىَ أُبرِزَتْ
لَدَى خالدٍ مِثْلَ العَذَارَى النَّواهِدِ

٦ ـ أراد بـ « عَذَارَها » القصائد .

٧ وكانَتْ لِصَيْدِ الوَحْشِ مِنها حَلاوَةٌ[3]
على قَلْبهِ لَيسَتْ لِصَيْدِ الأَوابِدِ

٧ ـ أى كان يصيد المدحَ ببذلهِ المال ويراه أحلَى من صيدِ الوحش .

٨ وكانَ يَرَى سَمَّ الكلامِ كأَنَّما
يُقَشَّبُ أَحيانًا بِسَمِّ الأَسَاوِدِ

٨ ـ أى يشتدُّ عليه الذَّمُّ وهو سَمُّ الكلام ، « وقشَّبَ السمَّ » إذا خلَطَه بغيره ، والسّمُّ مُقَشَّب ، والذى يُسقاه مُقَشَّب أيضاً .

٩ تَقلَّصَ ظِلُّ العُرْف فى كلِّ بَلْدَة
وأُطفِئَ فى الدُّنيا[4] سِرَاجُ القَصائدِ

---

(١) جاء فى ظ : أى بكاء اللواتى أضللن السماح فهن يطلبنه .
(٢) م : « عذاريها » .
(٣) ظ : « أنشدت » وذكر رواية الأصل .
(٤) س : « وأخفى فى الدنيا » ، وذكرها ظ .

١٠ فَياعِيَّ مَرْحُولٍ إليهِ ورَاحل
وخَجْلَةَ مَوْفُودٍ إليهِ ووَافِدِ[1] !

١١ ويا ماجدًا أوفَى بهِ المَوْتُ نَذْرَه
فأَشعَرَ رَوْعًا كُلَّ أَروَعَ ماجِدِ !

١٢ غَدًا يَمْنعُ المَعْرُوفُ بعدَكَ دَرَّهُ
وتَغْدِرُ غُدْرَانُ الأَكُفِّ الرَّوافِدِ[2]

١٣ ويا شائِمًا بَرْقًا خَدُوعًا وسامِعًا
لِرَاعِدَةٍ دَجَّالَةٍ[3] فى الرَّواعِدِ

١٣ ـ جعل الرَّاعدةَ دَجَّالة لأَنها كاذبةٌ لا مطرَ فيها ، والناسُ إذا وصفوا الكذَّاب بالمبالغة قالوا كَذَّاب دَجّال ، و « الدَّجال » الذى يُغطِّى الحقَّ بكذبه .

١٤ أَقِمْ ثُمَّ حُطَّ الرَّحْلَ والظَّنَّ إنَّه
مَضَتْ قِبْلَةُ[4] الأَسفَارِ مِنْ بعد خالدِ

١٥ تَكَفَّأَ مَتْنُ الأَرضِ يومَ تَعطَّلَتْ
مِنَ الجبلِ المُنْهَدِّ تحتَ الفَدافِدِ

---

(١) جاء فى ظ : ويروى « فياغى » ضد الرشد . وقال الخارزنجى فى تفسيره على رواية الأصل: إذا سئل من يرحل بمدحه إلى ممدوح فيقال له إلى من ترحل به عيى جواباً إذ لا مناهل للمدح بعد خالد ، ويا عيى ممدوحٍ بعده . .

(٢) س : « الجوامد » .

(٣) جاء فى ظ : ويروى « دخالة » وروى الصولى « كذابة » وقال فى ظ أيضاً: ويروى « زجالة » أى ذات زجل .

(٤) س : « مضى حسب الأسفار » وجاء فى ظ : ويروى « قبلة الأشعار » .

١٥ ـ أى اضطرب مَتنُ الأَرضِ يومَ ماتَ خالد .

١٦ فلِلثَّغْرِ [١] لَوْنٌ قاتِمٌ بعدَ مَنْظرٍ
أَنِيقٍ وجَوٌّ سائلٌ غيرُ رَاكِدِ [٢]

١٦ ـ « غير راكد » لأَنهم يُغزون فيركبون فى كل وقت ولا يسكنون .

١٧ لأَبرَحْتَ [٣] يا عامَ المَصَائِبِ بعدَما
دَعتْكَ بَنُو الآمالِ عامَ الفَوَائِدِ !

١٨ لقَدْ نَهَسَ [٤] الدَّهْرُ القَبائلَ بعدَه
بِنابٍ حَدِيدٍ [٥] يَقْطُرُ السَّمَّ عانِدِ

١٨ ـ يقال عِرْق عانِد إذا لم يَرْقَأ .

١٩ فجَلَّلَ قَحْطًا آلَ قَحْطانَ وانثنَتْ
نِزَارٌ بِمَنْزُورٍ مِنَ العَيْشِ جاحِدِ

١٩ ـ « الجاحد » والجَحَدِ الضيِّق ، وجاءَ بالأَلف كما قالوا سَلِس وسالس ، قال الراجز :

---

(١) س : « فللعام » وهى أيضاً رواية الخارزنجى كما جاء فى ظ .

(٢) رواية س : « وجو سائر » . وقال الصولى سألت أبا مالك عن هذا فقال يقول : كان أهل الثغر يَغزون ولا يغزون ، فلما ذهب غُزوا فركبوا فى كل وقت وساروا ولم يكن لهم ركود أى قرار ، فمن رواه « سائل » فكأنه يسيل بكثرة الناس .

وجاء فى ظ ويروى برفع « جو » وجره وقال والجر أجود وأولى .

(٣) س : « فأبرحت » .

(٤) س ، م : « نهش » .

(٥) س : « جميعاً بناب » .

مَمْكُورَةٌ تحتَ الوِشَاحِ السَّالِسِ
تَفتَرُّ عن ذِى أُشُرٍ عُضَارِسِ[1]

٢٠ على أَىِّ عِرْنِينٍ غُلِبْنا ومارِنٍ
وأَيَّةُ كَفٍّ فارَقَتْنا وساعِدِ !

٢٠ ـ « العِرْنين » ما بين العينيْن من الأَنفِ ، و « المارن » طرفُه اللَّين ، يقال عَلَبَه إذا أَثَّرَ فيه ، فهذا على رواية مَن روى « غُلِبنا » بالعين ومَن روى « غُلبِنا » فهو أَبلغُ فى التأْبين .

٢٤ كأَنَّا فَقَدْنا أَلْفَ أَلفِ مُدَجَّجٍ
على أَلْفِ أَلفٍ مُقْرَبٍ لا مُبَاعَدِ

٢١ ـ « المُقْرَب » من الخيل يُقرَّب من بيت صاحبِهِ لكرمه عليه ، وقيل أَكثرُ ما يُستعمل ذلك فى الإناث . وإن أُضِيف « أَلْف » إلى « مُقْرَب » صار فى البيت زحاف ، وقد جاءَ الطائى بمثل ذلك[2] ، وإن نُوِّن « أَلْف » جُعل « مُقْرَب » نعتاً له لأَن « الأَلْفَ » مُذكرٌ .

٢٢ فيا وَحْشَةَ الدُّنيا وكانَتْ أَنِيسَةً
ووَحْدَةَ مَنْ فيها لِمَصْرِعِ واحِدِ !

٢٣ مَضَتْ خُيَلاءُ الخَيْلِ وانصَرفَ الرَّدَى
بِأَنفَسِ نَفْسٍ مِنْ مَعَدٍّ ووَالِدِ

---

(١) روايته فى اللسان (مادة سلس) :
ممكورة غرّ الوشاح السالس تضحك عن ذى أشر عضارس

(٢) الرواية فى س بالإضافة .

٢٤ فأَيْنَ شِفَاءُ الثَّغْرِ أَينَ إذا القَنَا
خَطَرْنَ على عُضْوٍ مِنَ المُلْكِ فاسِدِ ؟

٢٥ وأَينَ الجِلادُ الهَبْرُ إذْ ليسَ سَيِّدٌ
يَقِى جِلْدَةَ الأَحسابِ إنْ لم يُجَالِدِ ؟

٢٥ – يُقال هَبَرَه بالسيف إذا ضربَه فألقَى قطعةً من اللحم .

٢٦ ومَنْ يَجْعل السُّلطانَ حَبْلَ وَرِيدِهِ
ومَنْ يَنظِمِ الأَطرافَ نَظْمَ القَلائِدِ ؟

٢٧ ومَنْ لم يَكنْ يَنفَكُّ يَغبِقُ سَيْفَهُ
دَمًا عانِدًا مِنْ نَحْرِ لَيْثٍ مُعَانِدِ [١] ؟

٢٨ بِنَفْسِيَ مَنْ خَطَّتْ رَبيعةُ لَحْدَه [٢]
ولا زَالَ مُهْتَزَّ الرُّبَى غيرَ هامِدِ

٢٩ أَقام به مِنْ حيِّ بَكْرِ بنِ وائلٍ
هَنِيَّ النَّدَى مُخضَرَّ [٣] إِثْرَ المَواعِدِ

٣٠ فماذا حَوَتْ أَكفانُه مِنْ شَمائل
مَناهِلَ أَعدادٍ عِذَابَ المَوَارِدِ [٤] !

---

(١) س : « ليث المعاند » .
(٢) س : « بنفسى ترى شقت ربيعة لحده » .
(٣) س : « هنىء الردى مخضر » بالرفع فيهما .
(٤) قال الصولى « أعداد » جمع عد وهو الماء الذى لا ينضب أبداً .

٣١ خَلائِقُ كانَتْ كالثُّغُورِ تُخرِّمَتْ
وكانَ عليها واقِفًا كالمُجَاهِدِ[1]

٣٢ فكَمْ غالَ ذَاكَ التُّرْبُ لى ولِمَعْشَرِى
وللناسِ طُرًّا مِنْ طَرِيفٍ وَتالِدِ !

٣٣ أَشَيْبانُ لا ذَاكَ الهِلالُ بِطالِعٍ
علينا ولا ذاكَ الغَمامُ بِعَائِدِ

٣٤ أَشَيْبانُ ماجَدِّى ولا جَدُّ كَاشِحٍ[2]
ولا جَدُّ شىءٍ يومَ وَلَّى بصَاعِدِ

٣٤ – « ولا جَدّ كاشحٍ » لأنه كان ينتفع بماله ونُصرتهِ وذَبِّه عنه وإن لم يكن صَدِيقاً .

٣٥ أَشَيْبانُ عَمَّتْ نارُها مِنْ مُصِيبةٍ[3]
فَما يُشتَكَى وَجْدٌ[4] إلى غيرِ وَاجِدِ

٣٦ لإِن أَقرَحَتْ عَيْنَىْ صَدِيقٍ وصاحِب
لقَدْ زَعزعَتْ رُكْنَىّ عَدُوٌّ وحاسِدِ

---

(١) قال الصولى : لم يرو أبو مالك هذا البيت ، ومعناه أن خلائقه فى بذل ماله كأنها ثغور أى ملجأ للناس وعون على زمانهم . « وكان عليها صابراً كالمجاهد » يجاهد نفسه ليجرى على سجيتها فى البذل إذا خوفته الفقر .

(٢) س : « كاشحى » .

(٣) س : « من رزية » .

(٤) س : « فما تشتكى وجداً » .

٣٧ لئِنْ هىَ أَهدَتْ لِلأَقاربِ تَرْحَةً
لقَدْ جَلَّلَتْ تُرْبًا خُدُودَ الأَباعِدِ

٣٨ فما جانِبُ الدُّنيا بِسَهلٍ ولا الضُّحَى
بطَلْقٍ ولا ماءُ الحَياةِ بِبَارِدِ

٣٩ بَلى وأَبِى إنَّ الأَميرَ محمّدًا
لَقُطبُ الرَّحَى مِصْباحُ تلكَ المَشَاهِدِ

٤٠ حَمِدْتُ اللَّيالى إذ حَمَتْ سَرْحَنا بهِ
ولستُ لها فى غيرِ ذَاكَ بِحَامِدِ

٤١ عليهِ دَلِيلٌ مِنْ يَزِيدَ وخالِدٍ
ونُورانِ لاحَا مِنْ نِجارٍ وشَاهِدِ

٤٢ مِنَ المكرِمينَ الخَيْلَ فيهمْ ولم يكنْ
لِيُكرِمَها إلّا كِرَامُ المحَاتِدِ

٤٣ أَخُو الحَرْبِ يَكْسُوها نَجِيعًا كأَنَّما
مُتُونُ رُبَاها منهُ مِثْلُ المَجَاسِدِ [1]

٤٤ إذا شَبَّ نارًا أَقعَدتْ كلَّ قائِمٍ
وقامَ لها مِنْ خَوْفهِ كُلُّ قاعِدِ

---

(١) س : « متون الربى من ورده فى المجاسد ».

٤٥ فَقُلْ لِمُلوكِ السِّيسجانَ ومَنْ غَدَا
بِأَرَّانَ أو جُرْزانَ[١] غيرَ مُناشِدِ

٤٦ أَلا القُوا مَقالِيدَ البِلادِ وهَلْ لها
رِتاجٌ فيُلقِى أَهلُها بالمَقالِد ؟ !

٤٧ ولا يُغْوِكم شَيْطانُ حَرْبٍ فإِنَّه
مَعَ السَّيفِ يَدْمَى نَصْلُه غيرُ مَارِدِ[٢]

٤٨ ولا تَفْتَرِقْ أَعناقُكم إِنَّ حَوْلَها
رُدَيْنِيَّةً يَجمَعْنَ[٣] هامَ الشَّوارِدِ

٤٩ وما كَثُرَتْ فى بلدةٍ قِصَدُ القَنَا
فتُقْلِعَ إِلَّا عنْ رقابٍ قَواصِدِ

٤٩ ـ «قِصَد القَنا» كِسَرُها ، و «قَواصد» مِنْ قولهم قَصَدَ إذا عَدلَ[٤] .

---

(١) س : «أو حزبان» — ظ : «أو حوران» . وقال ويروى «أو جرزان» ، وهى بلاد أرمينية .

(٢) قال الصولى فى شرحه : يقول شيطان الحرب مع سيف يَدْمى نصلُه غيرُ مارد .

(٣) س : «يقصرن» — م «يجمعنها من شوارد» . وقال الصولى فى شرحه : يقول إذا افترقت أعناق العداة فى أبا عد البلاد نظمها وجمعها فى مكان واحد برماحه الردينية . وروى الخارزنجى «يقصرن هم الشوارد» أى الشوارد عن الحق كما قال .

(٤) جاء فى ظ : وفى النسخة العجمية أى ما كثرت قِصَدُ القنا فى موضع فتكفّ إلاّ عن أعناقٍ قواصدَ أى مستقيمة غيرِ ذات صُعْرٍ ولا كِبرْ .

١٩١

وقال يَرثى بعضَ بنى حُمَيد فى مَرْثيّةِ أَبى الفَضْل الحُمَيْدِى :

١ لَوْ صَحَّحَ الدَّمْعُ لى أَوْ ناصَحَ الكَمَدُ
لَقلَّما صَحِبانى الرُّوحُ والجَسَدُ [١]

٢ خانَ الصَّفاءَ أَخٌ كانَ الزمانُ له [٢]
أَخاً فلم يَتخَوَّنْ جِسمَه الكَمَدُ

٣ تَساقُطُ الدَّمعِ أَدنَى ما بُلِيتُ بهِ
فى الحُبِّ إِذْ لم تَساقَطْ مُهجة ويَدُ

الأَول من البسيط والقافية متراكب .

٣ ـ و «أَوْلَى» . (ع) : «أَدنى ما ادَّرَيْتُ بهِ فى الوَجْد» إذا صَحّت الرواية فمعنى «أدّريت» يحتمل أَن يكون من الدريَّة التى يَستتر بها الرّامى ، أَى أَدنى ما استترتُ به من الحزن ، ويجوز أَن يكون فى معنى [افتعَلَ] من دريتهُ إذا ختلتَه ، كأَنه يختِلُ الحُزْنَ بالدّمْع وهو قريب من الأَوّل ، ويجوز أَن يكون من الدّرْء وهو الدمع فخذف الهمزة .

٤ لا والذِى رَتكتْ تَطْوِى الفِجاجَ لهُ
سَفائِنُ البَـــــرِّ فى خَدِّ الثَّرَى تَخِدُ

(١) جاء فى ظ : أراد لو صحح الدمع مساعدته ، وقال ويروى « الخدّ والكبد » .

(٢) م : « خان الزمان له » وروتها ظ . وقال « يتخون » يتنقص ، أى من مات له أخ فلم يهلك لموته فقد خان المودة والصفاء .

٥ لأَنْفَدَنَّ أَسىً إِذْ لم أَمُتْ أَسَفًا [١]
أَو يَنفَدُ العمرُ بى أَو يَنْفَدُ الأَبَدُ [٢]

٦ عنى إليكِ فإِنِّى عنكِ فى شُغُلٍ
لى منهُ يَوْمٌ يُبَكِّى مُهْجتى وغَدُ

٧ وإِنَّ بُجْرِيَّةً نابَتْ [٣] جَأَرْتُ لها
إِلى ذُرَى [٤] جَلَدِى فاستَوهلَ [٥] الجَلَدُ

٧ – «بُجْرِيّة» منسوبة إلى البُجَارَى وهى الدَّواهى ، «والبُجْرية» الأَمر العظيم ، كأَنها نُسبَتْ إلى البُجْر ، يقال أَمرٌ بُجْر أَى عظيم ، قال الجعدى :

جاءَتْ بنو البَرْشَاءِ [٦] يَقْدُمها أَمْرُ الشِّقاقِ وخُطَّةٌ بُجْرُ

وقال الراجز :

ما عُذْرى والأَمْرُ أَمْرٌ بُجْرُ [٧]
والقَوْسُ فيها وَتَرٌ حِبَجْـرُ ؟

وإِذا جمعوا قالوا البُجَارى بالتخفيف والتشديد ، قال الشاعر :

---

(١) ظ : فى نسخة السكرى « إذا لم أمت بأسى » .
(٢) م : « أو ينفد العمر إن لم ينفد الأبد »
(٣) ظ : ويروى « باتت » .
(٤) ظ : « إلى يدى جلدى » أى ضججت فأبت إلى يدى جلدى أو قوة جلدى أو طاقة جلدى من قولك مالى به يد أى طاقة ، وقوله « فاستوهل » من الوهل وهو دهش الحزن يقال وهل واستوهل .
(٥) ظ : ويروى « فاستضعف » .
(٦) « بنو البرشاء » قبيلة سموا بذلك لبرش أصاب أمهم ، قال النابغة :
ورب بنى البرشاء ذهل وقيسها وشيبـان حيث استنهلتها المناهلُ
(٧) روايته فى اللسان (مادة بجر) .
أرمى عليهـا وهى شىء بُجْـرُ
والقوسُ فيهـا وتـر حِبَجْرُ

إذا قلتُ إنَّ اليومَ يومُ خُضُلَّةٍ لأَشْزنَ لاقيتُ الأُمورَ البُجَارِيَا

وقال آخر :

إذا أتانا خَبَرٌ بُجْرِىٌّ
ظُـلْمٌ لعمرُو اللهِ عَبْقرِىٌّ
قالتْ قريشٌ كلُّنا نبىٌّ !

«وجأَرْتُ » رفعتُ الصوت .

٨ هىَ النَّوائِبُ فاشجَىْ أَوْ فَعِى عِظَةً
فإنَّها فُرَصٌ أَثْمَارُها رَشَدُ

٩ هُبِّى تَرَىْ قَلَقًا مِنْ تحتِه أَرَقٌ
يَحدُوهما كمَدٌ يَحْنُو له الجَسَدُ [١]

١٠ صَمَّاءُ سَمٌّ العِدَى فى جَنْبِها ضَرَبٌ [٢]
وشُرْبُ كاسِ الرَّدَى فى فَمِّها شُهُدُ

١٠ ـ [ع] إن رويت «فى فَمِها» بالتخفيف صار فى البيت زحاف ، وقلَّما يستعمل الشعراءُ مثله ، وهو عندهم جائز ، وإن شدَّدتَ الميم بَطُلَ الزِّحَاف ، إلاَّ أَنَّ التخفيف أَجزلُ فى اللفظ. [ص] يعنى أَنَّ الوقعة التى تَلِف فيها داهية ، إلاَّ أَنه صار إلى الجنَّة لأَنه قُتل فى وقعة بابَك فصار غِبُّ الأَمرِ مَنفعةً . ويُروى «صَمَّاءُ صُمُّ الصَّدا » و«صُمُّ العِدَى » أَجود .

---

(١) جاء فى ظ : قال الصولى ويروى « يعنو له الجلد » . وقراءتها فى م : « يحنو له الأسد » .

(٢) جاء فى م : ويروى«صماء ذات عراق بها حزم» وقال: الصماء ذات العراق الداهية. «والضرب» العسل الأبيض .

١١ هُناكَ[١] أُمُّ النُّهَى لم تُودِ مِنْ حَزَنٍ
ولم تَجُدْ لِبَنى الدُّنيا بما تَجِدُ

١١ ـ [ص] « أُمُّ النُّهَى » مَثَل ، يُريد العُقَلاءَ من الرجال ، أى لم يجودوا له من الحُزْنِ بمقدار ما وجِدوا به .

١٢ لو يَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمى بالزَّمانِ وما
عاثَتْ يَدَاه لمَّا رَبُّوا ولا ولَدُوا

١٣ لا يُبْعِدِ اللهُ مَلْحُودًا أَقامَ بهِ
شَخْصُ الحِجَى وسَقاهُ الواحدُ الصَّمَدُ

١٤ يا صاحِبَ القَبْرِ دَعْوَى غيرِ مُثَّئبٍ
إنْ قالَ أَودَى النَّدَى والبدرُ والأَسَدُ

١٥ باتَ الثَّرَى بِأَخى جَذْلانَ مُبْتَهِجًا
وبِتُّ يَحكُمُ فى أَجفانىَ السُّهُدُ

١٦ لَهْفِى عليكَ وما لَهْفِى بِمُجديةٍ[٢]
ما لم يَزُرْكَ بنفسى حَرُّ ما أَجِدُ

١٧ أَنسَى أَبا الفَضْلِ يَعْفُو التُّرْبُ أَحسنَه
دُونى ودَلْوُ الرَّدَى فى مائهِ يَرِدُ ؟ !

١٨ وَيْلٌ لِأُمِّكَ أَقصِرْ إنَّه حَدَثٌ
لم يَعتقدْ مِثْلَه قَلْبٌ ولا جَلَدُ

---

(١) ظ : ويروى « فداك » .

(٢) ظ : « ولهف غير مجدية » وقال ويروى : « ولهف » .

١٩ عاقَ الزَّمانُ رَضِيعَ الجُودِ لم يَقِهِ
أَهَلٌ ولم يَفْدِهِ مَالٌ ولا وَلَدُ

٢٠ حينَ[1] ارتَوى الماءَ وافترَّتْ شَبِيبتُه
عن مُضْحِكٍ لِلمعَالى ثَغْرُه بَرَدُ

٢١ وقِيلَ أَحمدُها بَلْ قيلَ أَمجدُها
بلْ قِيلَ أَنجدُها إِنْ فُرَّتْ النُّجُدُ

٢٢ رُودُ الشَّبابِ كنَصْلِ السَّيفِ لا جَعَدٌ
فى راحتَيْهِ ولا فى عُودِه أَوَدُ

٢٣ سَقَى الحَبِيسَ ومَحْبُوسًا بِبَرْزَخِه
مِنَ السَّمِىِّ كَفِيتُ الوَدْقِ يَطَّرِدُ

٢٣ – « البَرْزخ » الحاجز بين الشيئين ، وقيل للقبر بَرْزخ لأنه بين الدُّنيا والآخرة . و « الكَفِيتُ » السريع « الحِبَس » أخوه ، محبوسٌ على الحُزن ، و « المحبوس ببرزخِه » يريد الميّت[2] .

٢٤ بِحيْثُ حَلَّ أَبو صَقْر فودَّعَه
صَفْوُ الحياةِ ومِنْ لَذَّاتِها الرَّغَدُ

٢٥ بحيثُ حَلَّ فَقِيدُ المَجْدِ مُغتَربًا
ومُورِثًا حَسَراتٍ ليسَ تُفتَقَدُ

---

(١) م : « حتى » .
(٢) جاء فى ظ : وفى النسخة العجمية « الحبيس » موضع .

١٩٢

قافية الراء

وقال يَرثى مُحمّد بنَ حُمَيد الطائى :

١ كَذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ
فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ [١]

فى الأَول من الطويل والقافية متواتر .

١ ــ قوله « فليجلَّ » يجوز بكسر اللام وفتحها ، والكسر أَجود .

---

(١) ورد فى الأصل بعد هذا البيت بيت آخر وهو :

حرام لعمرى أن يجف لها قطر وأن تطعم التغميض ما بقى الدهـــر

وفى بعض النسخ مثل ل ، ظ جعله ابتداء القصيدة ، وقد آثرت عدم إثباته فى الأصل هنا إذ لا يوجد فى بعض الأصول مثل س ، وأحسبه فى أغلب الظن موضوع ، ذلك أنه عيب على أبى تمام الابتداء بقوله: « كذا فليجل الخطب ... » وطعن عليه ابن عمار فى الرسالة التى كتبها عن أخطائه وسرقاته ، قال : افتتح قوله بأبين خطأ وأفحشه من إشارته إلى معدوم واستعطافه غير معلوم ، ثم حض على البكاء قبل إخباره عن الحادث الذى يلى ، وقد وقفه بعض الناس على خطأه وزلله فقال له كان يجب أن تأتى بعظام الرجل الذى بكيته فى وعاء فتجعله بين يديك ثم تقص على الناس خبره ، فإذا أتيت على آخره أومأت إليه ثم قلت : كذا فليجل الخطب . . . ! وقد رد الصولى عيب من عابه فى رسالته (أخبار أبى تمام ص ٢٦٥) وما جاء فى كلام الصولى يرجح بل يؤكد انتحال البيت : حرام لعمرى . . . قال الصولى : حدثنى أحمد بن موسى ، قال أخبرنى أبو الغمر الأنصارى عن عمرو بن أبى قطينة قال رأيت أبا تمام فى النوم فقلت له لم ابتدأت بقولك : كذا فليجل الخطب . . . فقال لى : ترك الناس بيتاً قبل هذا ، إنما قلت :

حرام لعين أن يجف لها شَفْــرُ وأن تطعم التغميض ما امتنع الدهر

كذ فليجل الخطب . . . إلخ .

فظاهر أن هذا أن البيت مدخول للرَد على من عاب على أبى تمام مثل هذا الابتداء الذى لم يألفه القدماء.

٢ تُوفِّيَت الآمالُ بعدَ مُحمَّدٍ
وأَصبَح فى شُغْل عنِ السَّفر السَّفْرُ

٣ وما كانَ إلّا مالَ مَنْ قَلَّ مالُهُ
وذُخْرًا لِمَنْ أمسَى وليسَ له ذُخْرُ

٤ وما كانَ يَدْرِى مُجْتَدِى جُودِ كَفِّهِ[1]
إذا ما استهلَّتْ أنَّه خُلِقَ العُسْرُ

٥ أَلا فى سَبيلِ اللهِ مَنْ عُطِّلَتْ له
فِجَاجُ سَبِيلِ اللهِ وانشغَرَ الثَّغْرُ[2]

٦ فَتًى كُلَّما فاضَتْ عُيونُ قَبِيلةٍ
دَمًا ضَحِكَتْ عنه الأَحاديثُ والذِّكْرُ

٧ فَتًى ماتَ بينَ الضَّرْبِ والطَّعْنِ مِيتَةً
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إذْ فاتَه النَّصْرُ

٨ وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
مِنَ الضَّرْبِ واعتلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْرُ

٩ وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلًا فردَّهُ
إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

٩ ـ [ع] هذا مِثْل قول الآخر :

---

(١) س : « من بلا يسر كفه » .

(٢) ذكر ابن المستوفى ما قاله ابن عمار فى نقد هذا البيت . قال ابن عمار : وليس فى كلام العرب « انثغر » إنما يقولون « إثغر » ولو كان مصيباً فى اللفظ لكان قد أبعد التشبيه وخرج عن المعنى .

ولو أنَّهم فرُّوا لكانُوا أَعِزَّةً ولكنْ رأَوْا صَبْرًا على الموتِ أكرمَا

وجعل له خُلُقاً وَعْرًا على أعدائه ، وليس يُحمد الرجلُ بوعارة الخُلق إلاَّ عند المُضارّة والمُشَارَّة كما قال المازنىّ :

تُعاتبنى فيما تَرى من شَرَاستى وشِدَّةِ نفسى أُمُّ سَعْدٍ وما تدرى
فقلتُ لها إنَّ الكريمَ وإن حَلاَ لَيُوجَدُ أحياناً أمرَّ مِن الصَّبْرِ

وهو مثل قول الأوّل :

وكالسَّيْفِ إنْ لاينْتَه لانَ مَتْنُه وَحدَّاهُ إن خاشَنْتَهُ خَشِنَـانِ

١٠ ونَفْسٌ تَعَافُ العَارَ حتَّى كأَنَّه
هوَ الكُفْرُ يومَ الرَّوعِ أَوْ دُونَه الكُفْرُ

١١ فأَثبَتَ فى مُسْتَنقعِ المَوْتِ رِجْلَه
وقالَ لها مِنْ تحت أَخْمِصُكِ الحَشْرُ

١٢ غَدا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائِهِ
فلم يَنْصَرِفْ إلَّا وأَكفانُه الأَجْرُ

١٣ تَردَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْرًا فما أَتَى[1]
لها الليلُ إلَّا وهْىَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

١٤ كأَنَّ بَنِى نَبْهَانَ يومَ وَفاتِه
نُجومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنها البَدْرُ[2]

---

(١) س : « فا دجا » .

(٢) قال الصولى : قد عاب عليه هذا من لا يدرى كيف يتكلم العرب ولا فهم معنى قط ، وقد ذكرت الاحتجاج له فى الرسالة التى فيها أخباره . (انظر أخبار أبى تمام للصولى ص ١٢٥ وما بعدها) .

١٥ يُعَزَّوْنَ عن ثَاوٍ تُعَزَّى بهِ العُلى
ويَبكِى عليهِ الجُودُ والبأسُ والشِّعْرُ

١٦ وأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ علَيه وقد مَضَى [١]
إلى المَوْتِ حتَّى استُشْهِدَا هوَ والصَّبْرُ !

١٧ فَتًى كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا مِنْ غَضاضَةٍ
ولكنَّ كِبْرًا أَنْ يُقالَ [٢] بهِ كِبْرُ !

١٧ – [ع] نصبَ « كِبْرًا » على أَحد وجهين : إمّا أَن يكون نصبَه بـ « لكنّ » وجعل اسمَها نكرةً والخَبرَ محذوفاً ، وإمّا أَن يكون أَضمَر فى « لكنَّ » كما يُضمر فى « أَنّ » و « لكنَّ » و « كأَنَّ » و « ليتَ » ، ونصبَ « كِبْرًا » على أَنه مفعول له ، كأَنه قال فتى تَعذُب روحُه لا من غضاضةٍ ولكنها تَعذُب لتكبُّرِه عن الكِبْر ، قال عَدِىُّ بن زيد فأَضمرَ فى ليتَ :

فليتَ دفَعتَ الهمَّ عنِّى ساعةً فتُمسِى على خَيَّلَتَ ناعمَ بالِ

١٨ فَتًى سَلَبَتْهُ الخيلُ وهْوَ حِمًى لها [٣]
وَبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْوَ لها جَمْرُ

١٨ – (ع) : « الخيلُ وهو جَمالُها » . (س) « حِمًى لها » ، و « جمالها » أَيضاً . إذا رويتَ « سُلِبتْه » بضم السين على ما لم يُسَمَّ فاعله فيجب أَن يُروى « وبُزَّتْه » بضم الباء لتكون الجملة الثانية مثل الأولى[٤] ، وإن رُوى

(١) ظ : « وقد مشى » .
(٢) ظ : ويروى « أن يكون به كبر » .
(٣) جاء فى ظ : وروى الخارزنجى : « وهو ثقافها » .
(٤) هى رواية س ، بالبناء للمجهول .

« سَلبتْه » و « بَزَّتْه » بالفتح فهو معنًى صحيح ، وإنما يُريد أنَّ بعض الخيل الذى سَلَبه ، وهذا كما تقول قتلَ الناسُ فلاناً وكان جمالاً لهم وإنما قتله واحدٌ منهم .

١٩ وقَدْ كانتِ البِيضُ المآثيرُ فى الوَغَى
بَواتِرَ فهْىَ الآنَ مِن بَعْدِه بُتْرُ

١٩ – ويُروى « البيض البواتر » و « البيض المباتير » [ع] و « المآثير » جمع مأثور وهو الذى فيه الأَثر وهو الفرند ، « وبواتر » أَى قواطع ، و « البُتْر » التى لا أَذنابَ لها فى الأَصل ، وإنما أَراد هاهنا انقطاعَ البقيّة وقلّةَ الخير ، ولذلك قيل لِلعَيْر والعَبْد الأَبتران ، وإن ذهب ذاهبٌ إلى أَنه جعلَ هذا المرثىَّ ابناً لِلبيض البواتر فلمّا هلكَ صارتْ بُتْرًا أَى لا ولدَ لها مِن قوله تعالى : « إنَّ شانِئَكَ هو الأَبتر » أَى الذى يَنقضبُ ذِكرهُ ولا يبقى له ثناء فذلك مَذْهب[١] .

٢٠ أَمِنْ بَعْدِ طَىٍّ الحادِثاتِ مُحمَّدًا
يَكُونُ لِأَثْوابِ النَّدَى أَبدًا نَشْرُ ؟ !

٢١ إذا شَجَراتُ العُرْفِ جُذَّتْ أُصُولُها
فَفِى أَىِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضْرُ ؟

٢٢ لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهرُ الخَؤُونُ لِفَقْدِه
لَعَهْدِى بِهِ مِمَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ

(١) رواية الصولى كما جاء فى م : « البيض المآثر » وقال : يقول كانت السيوف التى مآثرها فى الحرب بواتر ، أى قواطع ، فصارت بعده بتراً أى لا تقطع ، يريد أنه ليس أحد يفعل فعله .

٢٣ لَئِنْ غَدرَتْ فى الرَّوْعِ أَيَّامُه بهِ
لَمَا زَالتِ الأَيَّامُ شِيمتُها الغَدْرُ

٢٤ لَئِنْ أُلبِسَتْ فيهِ المُصِيبَةَ طَيِّئٌ
لَمَا عُرِّيَتْ منها تَمِيمٌ ولا بَكْرُ

٢٥ كذلكَ ما نَنفَكُّ نَفْقدُ هالِكًا
يُشارِكُنا فى فَقْدِه البَدْوُ والحضْرُ [١]

٢٦ سَقَى الغَيْثُ غَيْثًا وارَتِ الأَرضُ شَخْصَه
وإنْ لم يَكُنْ فيهِ سَحَابٌ ولا قَطْرُ

٢٧ وكيفَ احتِمالى لِلسَّحابِ [٢] صَنِيعَةً
بإسقائِها قَبْرًا وفى لَحْدِه البَحْرُ ؟ !

٢٨ مَضَى طاهِرَ الأَثوابِ لم تَبْقَ رَوْضَةٌ [٣]
غَداةَ ثَوَى إلَّا اشتَهتْ أَنَّها قَبْرُ

٢٩ ثَوَى فى الثَّرَى مَنْ كانَ يَحيا به الثَّرَى
ويَغْمُرُ صَرْفُ الدَّهرِ نائِلُهُ الغَمْرُ

---

(١) م : « ما تنفك . . . تشاركا » .

(٢) س : « للغيوث » .

(٣) م ، س : « بقعة » ، وجاء فى ظ قول ابن عمار فى نقده ، قال : وهذه « بقعة » أردأ لفظة جعلت فى هذا الموضع ، وقد استعار ابن أبى حكيم هذا المعنى بلفظةٍ حسنة فقال فى قصيدة يرثى بها عبد الله بن طاهر :

ولقد دُفنتَ وما عليها بقعةٌ إلا تمنى أنها لك مضجعُ

٣٠ عليك سَلامُ اللهِ وَقْفًا فإنَّنى
رَأَيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ[١]

(١) جاء نقد كثير على هذه القصيدة ، ولعل أغربه ما قال دعبل الخزاعى وادعاه من أن أبا تمام سرق كثيراً من أبياتها وانتحلها لنفسه ، قال دعبل : كان أبو سلمى المزنى من ولد زهير بن أبى سلمى واسمه مكنف شاعراً محسناً ، وكان ينزل ببادية قنسرين ، وكان يهجو بنى القعقاع آل ذفافة العبسيين . . . فلما مات ذفافة العبسى رثاه أبو سلمى بشعر طويل أغار عليه الطائى فانتحله ورثى به محمد بن حميد فى قصيدته التى أولها : كذا فليجل الخطب . . . قال أبو محمد التبريزى أنشدنى دعبل هذه القصيدة وجعل يُعجبنى من الطائى وادعائه إياها ومنها قوله :

أبعد أبى العباس يُستعتب الدهرُ ... وما بعده للدهر عُتبى ولا عذرُ
ولو عوتب المقدار والدهر بعده ... لما أعتبا ما أورق السلم النضرُ
ألا أيها الناعى ذفافة والندى ... تعستَ وشُلت من أناملك العشرُ

إلى قوله :

كأن نبى القعقاع يوم وفاته ... نجوم سماء خرّ من بينها البدر
توفيت الآمال بعد وفاته ... وأصبح فى شغل عن السفر السفر
يُعزون عن ثاوٍ يُعزى به العلا ... ويبكى عليه المجد والبأس والشعر
وما كان إلا مال من قلّ ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

ثم يقول دعبل : فهذا شعره الذى به حذق وشهر إنما قاله غيره ، وأثار معانيه سواه ، فلما عجز عن حسن الاستعارة أغار على أصل الكلام بالقحة ... إلخ وقد تعرض الصولى فى رسالته لابن عمار ورد قوله (أخبار أبى تمام ص ١٢٥ — ١٣٨) ودافع عنه أبى تمام (وأنظر الموازنة ط الأستانة ص ٢٩) .

١٩٣

وقال يُعزِّى نُوحَ بنَ عمرو بن نُوح بن حُوَىّ بابنه :

١ عَزَاءً فلَمْ يَخْلُدْ حُوَىٌّ ولا عَمْرُو
وهَلْ أَحَدٌ يَبْقَى وإِنْ بُسِطَ العُمْرُ ؟

٢ سَيأْكُلنا الدَّهرُ الذى غالَ مَنْ نَرى
ولا تَنقضِى الأَشياءُ أَوْ يُؤْكَلَ الدّهْرُ

فى الأَول من الطويل .

٢ ـ [ع] المعنى أَنَّ الدهر لا يخلو من الآفات ، من غوائل وَصُروف ، حتى يُعدَمَ ، فإن عُدِمَ جازَ أَن يخلوَ من الآفات .

٣ وأَكثَرُ حالاتِ ابنِ آدمَ خِلْقَةٌ
يَضِلُّ إِذا فَكَّرْتَ فى كُنْهِها الفِكْرُ

٣ ـ [ع] المعنى يصحُّ على «خِلْقة» و «خِلْفة» فإذا رويت بالقاف فالمعنى أَنَّ حالات ابن آدم طَبْعُه وخلِقتُه التى جُبِلِ عليها يَضِلُّ المعقولُ فى كُنهها أَى فى معناها ، وإذا رويت «خِلفْة» بالفاء فالمعنى أَنَّ حالات ابن آدمَ مختلفة .

٤ فَيفْرَحُ بالشَّىءِ المُعَارِ بَقَاؤُهُ
ويَحْزَنُ لَمَّا صَارَ وهْوَ لَهُ ذُخْرُ[1] !

(١) جاء فى ظ : ويروى « ويحزن للمكروه وهو له ذخر » .

٥ عليكَ بِثَوْبِ الصَّبْرِ إِذْ فيهِ مَلْبَسٌ
فإِنَّ ابنكَ المحمودَ بعدَ ابنِكَ الصَّبْرُ

٦ وما أَوحَشَ الرَّحمَنُ ساحَةَ عَبْدِهِ
إِذا عايَنَ الجُلَّى ومُؤْنِسُهُ الأَجْرُ

١٩٤

قافية العين

وقال يَرثى ابنَ نُوح بن عمرو بنِ حُوَىّ . (خ) :
يُعزِّى ابنَ عمرو بن نُوح بن حُوَىّ :

١ أَنُوحَ بنَ عمروٍ إنَّ ما حُمَّ وَاقِعٌ
وللأَجْنُبِ المُسْتَعلَياتِ مَصَارِعُ

٢ أَلَمْ يُختَرمْ عَمْرٌو وعَمْرٌو فودَّعا
ولاقَى الحُوَيَّانِ المَنَايا وماتِعُ !

٣ فَصَبْرًا فَفِى الصَّبْرِ الجَلالَةُ والتُّقَى
ولا إِثْمَ إِنْ خُبِّرْتُ أَنَّكَ جَازِعُ

٤ فقَدْ يأْجُرُ اللهُ الفَتَى وهْوَ كارِهٌ
وما الأَجْرُ إِلّا أَجْرُهُ وهْوَ طائِعُ

فى الثانى من الطويل والقافية متدارك .

١٩٥

وقال يَرثى بنى حُمَيْدِ بن قَحْطَبة :

١ أَىُّ القُلُوبِ عليكمْ ليسَ يَنصَدِعُ
وأَىُّ نَوْمٍ عليكمْ ليسَ يَمْتَنِعُ ؟

٢ ما غابَ عنكُمْ مِنَ الإِقدامِ أَكرَمُهُ
فى الرَّوْعِ إِذْ غابتِ الأَنصَارُ والشِّيَعُ [1]

٣ بَنِى حُمَيْدٍ بنَفْسِى أَعظُمٌ لَكُمُ [2]
مَهْجُورَةٌ ودِماءٌ منكُمُ دُفَعُ

٤ يَنتَجِعُونَ المَنايَا فى مَنَابِتِها
ولَمْ تَكُنْ قَبْلَهم فى الدَّهْرِ تُنتَجَعُ

٥ كأَنَّما بِهِمُ مِنْ حُبِّها شَرَهٌ
إِذا هُمُ انغَمسُوا فى الرَّوْعِ أَوْ جَشَعُ [3]

---

(١) وقع هذا البيت فى م بعد البيت التالى له .

(٢) س : « أعظم رمم » وبهامشها رواية الأصل .

(٣) س : « فى الموت » — م ، ظ : « أو جشعوا » وقال فى ظ ويروى « أو جشع » عطفاً على « شره » . وقال « جشعوا » حرصوا .

٦ لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ العَيُّوقِ مُنْصَلِتًا
ما كانَ إلّا على هَاماتِهِمْ[1] يَقَعُ

٧ إذَا هُمْ شَهِدُوا الهَيْجاءَ هاجَ بِهِمْ
تَغَطْرُفٌ فى وُجوهِ المَوْتِ يَطَّلِعُ[2]

فى الأول من البسيط والقافية متراكب .

٧ – [ع] «تَغَطْرُفٌ» من الغِطْريف وهو السخىّ ، وقد قيل إنه السريع ، والمعنى متقارب ، فيجوز أن يُحمل على أنهم يسخون بنفُوسهم للموت ، وأن يُحمل على السرعة ، والمعنى أنهم يتسرعون إلى الحُتوف ، وقد دَلّ كلامُهم على أنَّ «الغِطريف» الشابُّ ، فيجوز أن يُحمل ذلك على أنْ مَن فيه شبابٌ يَتسرّع إلى الحرب والكرم .

٨ وأَنْفُسٌ تَسَعُ الأَرضَ الفَضاءَ ولا
يَرْضَوْنَ أَوْ يُجشِمُوها فوقَ ما تَسَعُ

٩ بِوُدِّ[3] أَعدائِهِمْ لو أَنَّهُمْ قُتِلُوا
وأَنَّهُمْ صَنعُوا بعضَ الذى صَنعُوا

١٠ عَهْدِى بهِمْ تَسْتَنِيرُ الأَرضُ إنْ نَزلوا
فيها وتَجتَمِعُ الدُّنيا إذا اجتمعوا

---

(١) قال الصولى فى م ، ظ : ويروى « إلا إلى أيمانهم » وقال : وقد احتججتُ للرواية الأولى فى الرسالة فى أخبار أبى تمام (انظر أخبار أبى تمام ص ١٣٨) .

(٢) س : « مطلع » .

(٣) س : « يود أعداؤهم » وبهامشها رواية الأصل .

١٠ ـ [ع] «تَستِنيرُ الأَرض» من النُّور ، و مَن روَى «تَستسِرُّ» فهو من السِّرار كأَنهم يسترونها بالجُيوش . «وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا» يحتمل أَن يعنى اجتماع صُنوف الخير الذى يُطلب من الدنيا ، وقيل إنما يعنى الوُفود لأَنه يُوفَد عليهم من كلِّ وجه وكأَنَّ أَهلَ الأَقطار يجتمعون عندهم . (س) «تَستَديرَ الأَرض» و «تَستَنِيرُ» .

١١ ويَضْحَكُ الدَّهْرُ منهمْ عنْ غَطارِفَةٍ [١]
كأَنَّ أَيَّامَهمْ مِنْ أُنسِها جُمَعُ

١٢ يَوْمَ النَّباج لَقد أَبقيتَ نابِجَةً
أَحشاؤُنا أَبَدًا مِنْ ذِكْرِها قِطَعُ

١٢ ـ [ع] «النَّبَاج» موضع[٢]، وزعم بعضُ الناس أَنَّ الآكام يقال لها النَّباج ، والنابِجة أَصلُها مِن نَبَج إذا صَاحَ ، ويُقال رجل نَبّاج إذا كان شديدَ الصوت .

١٣ مَنْ لم يُعايِنْ أَبا نَصْرٍ وقاتِلَه
فما رَأَى ضَبُعًا فى شِدْقِها سَبُعُ !

١٤ فِيمَ الشَّماتَةُ إعلانًا بأُسْدِ وَغًى
أَفنَاهُمُ الصّبْرُ إِذْ أَبقاكُمُ الجَزَعُ ؟ !

١٥ لا غَرْوَ إنْ قُتِلُوا صَبْرًا ولا عَجَبٌ
فالقَتْلُ لِلصّبْرِ فى حُكْمِ القَنا تَبَعُ

(١) س : « عن غضارتهم » .

(٢) جاء فى اللسان (مادة نبج) : وفى بلاد العرب نباجان أحدهما عن طريق البصرة يقال له نباج بنى عامر وهو بحذاء فيد ، والآخر نباج بنى سعد بالقريتين .

١٩٦

وقال يَرثى إدريسَ بن بَدْر الشامِيَّ القُرَشِيّ :

١ دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِيَ الحُزْنِ[1] هُمَّعُ
تَوصَّلُ مِنَّـــا عَنْ قُلُوبٍ تَقطَّعُ

٢ عَفاءٌ على الدُّنيا طَوِيلٌ فإنَّها
تُفَرِّقُ مِنْ حيثُ ابتَدَتْ تَتَجمَّعُ !

فى الطويل .

١ ، ٢ ـ قوله «هُمَّعُ» أى سائلةٌ تتصل ولا تنقطع من أجل قُلُوبٍ تتقطَّع حُزْناً [ص] وقوله : «مِن حيثُ ابتدتْ تَتَجمّعُ» أى إذا كَمُلَتْ نَقَصتْ .

٣ تَبدَّلَت[2] الأَشياءُ حتَّى لَخِلْتُها
سَتَثْنِي غُرُوبَ الشَّمسِ مِنْ حَيْثُ تَطلُعُ !

٤ لهَا صَيْحَةٌ فى كلِّ رُوحٍ ومُهْجَةٍ
ولَيسَتْ بشَىءٍ ما خَلا القَلْبَ تُسمِعُ

٥ أَإِدْرِيسُ ضَاعَ المَجْدُ بعدَكَ كلُّه
ورَأْى الذى يَرجوه بعدكَ أَضَيَعُ

---

(١) م : « داعى الهم » .
(٢) س : « لبدلت » وجاءت هذه الرواية بخط مخالف فى هامش الأصل .

٦ وغُودِرَ وَجْهُ العُرْفِ أَسوَدَ بَعْدَما
يُرَى وكأَنَّهُ كَعَابٌ [١] تَصَنَّعُ

٧ وأَصبَحتِ الأَحزَانُ لا لِمَبرَّةٍ
تُسلِّمُ شَزْرًا والمَعَالى تُوَدِّعُ

٨ وضَلَّ بِكَ المُرْتادُ مِنْ حيثُ يَهتدِى
وضَرَّتْ بكَ الأَيَّامُ مِنْ حيثُ تَنفَعُ [٢]

٩ وأَضحَتْ قَرِيحات القُلوبِ مِنَ الجَوَى
تُقَاظُ ولكنَّ المَدَامِعَ تُرْبَعُ [٣]

٩ – «تُقَاظ» من القَيْظ (ع) : «تُصَافُ» أَى يكون فيها حَرّ ، وقد يجوز أَن يعنى أَنها مُطِرت مَطَرًا حارًّا لأَن بعضَ المطر يُسمَّى حَمِيماً ، وإِذا كان فى الصيف يُسمّى صَيِّفاً ، وأَلاَّ يكون ثَمَّ مطرٌ أَجود . «وتُرْبَعُ» أَى يُصِيبها مطرُ الربيع ، وإِنما يعنى الدّمع .

١٠ عُيُونٌ حَفِظْنَ اللَّيلَ فيكَ مُجَرَّمًا
وأَعطَيْنَه الدَّمعَ الذى كانَ يُمْنَعُ

---

(١) هـ ش : « يرى مثل الكعاب تصنع » .

(٢) هـ ش : أى عادت المنفعة التى كانت بك مضرة .

(٣) ظ : « ولكن بالمدامع » ، وفى س « تربع » بكسر الباء ، وقال المرزوقى : وقد نقل أبو تمام هذا إلى أخرى فى وصف الحرب فقال :

مصيف من يجا ومن جاحم الوغا ولكنــه من وابل الدمع مُتْرَعُ

١٠ ـ و «أعطينكَ» أيضاً[١] . أى لم تَنمْ طُولَ الليل هذه العُيون . «ومُجرماً» تامًّا[٢] .

١١ وقد كانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازِمًا
فقَدْ صارَ يُدْعَى[٣] حَازِمًا حينَ يَجْزَعُ

١٢ وقالَتْ عَزَاءً ليسَ لِلمَوْتِ مَدْفَعٌ
فقلتُ ولا للحُزْنِ لِلمَوْتِ[٤] مَدْفَعُ

١٣ لِإِدرِيسَ يَوْمٌ ما تَزَالُ لِذِكْرِهِ
دُمُوعٌ[٥] وإِنْ سَكَّنْتَها تَتَفزَّعُ[٦]

١٤ ولمَّا نَضَا ثَوْبَ الحَياةِ وأَوقَعتْ
بِهِ نائِباتُ الدَّهْرِ ما يُتَوقَّعُ

١٥ غَدا ليسَ يَدْرِى كيفَ يَصْنَعُ مُعْدِمٌ
دَرَى دَمْعُهُ فى خَدِّهِ[٧] كيفَ يَصْنَعُ !

١٥ ـ (س) ويروى «دمعه مِن وَجْده» . (العبدى) : «ذَرَى دمعَه» .

---

(١) وردت هذه الرواية فى ظ .

(٢) قال فى اللسان (مادة جرم) : وحول مجرم وسنة مجرمة تامة وتجرمت السنة أى انقطعت وتجرم الليل ذهب .

(٣) س : «فأصبح يدعى» .

(٤) س : «مذ مات» ـ ظ : ويروى «بالموت» ، وقال ويروى «بعدك» وهو أمدح .

(٥) م ، س : «دموعى» ، وجاءت هذه الرواية بهامش ل .

(٦) جاء فى ظ : وقال «تتفزع» أى تتنثر وهى استعارة رديئة ، وهى مأخوذة من الفزع لأن الفزع لا يقر فجعلها مثله .

(٧) س : «من وجده» وروتها ظ وقال إنها رواية العبدى ، كما روت أيضاً «فى جفنه» .

١٦ وماتَتْ نُفُوسُ الغَالِبِيِّينَ كُلِّهِمْ
وإلاّ فصَبْرُ الغالِبِيِّينَ أَجمَعُ

١٦ – و « بانَتْ » . أَى وإلّا فصبرُ الغالبيّين ماتَ أَجمع فلم يبقَ لهم صبر .

١٧ غَدَوْا فى زَوايَا نَعْشِه وكأَنَّما
قُرَيْشٌ قُرَيْشٌ يومَ ماتَ المُجمِّعُ[1]

١٧ – [ص] « المجُمِّع » هو قُصَىُّ بنُ كُلاب بن مُرَّةَ بنُ كعب بن لُؤَىّ بن ، غالب لأَنه جمعَ أَمرَ قريش ، قال الشاعر :

أَبونا قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجمِّعاً به جمعَ اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

يقول : كأَنَّ وَجْدَ قريشٍ به وَجْدُهم بِمُجَمِّع .

١٨ ولَمْ أَنْسَ سَعْىَ الجُودِ خَلْفَ سَرِيرِه
بأَكْسَفِ بالِ يَسْتَقِيمُ ويَظلَعُ

١٨ – هذا مثَل كأَنَّه صَيّر الجودَ جسماً ، أَى لو كان الجودُ ممّن يسعى لَسعَى خلفَ سريره .

١٩ وتَكْبِيرُهُ خَمْسًا عليه مُعَالِنًا
وإنْ كانَ تَكبيرَ المُصَلِّينَ أَرْبَعُ

١٩ – ذكر أَنَّ الجودَ كَبَّر عليه خَمْساً لأَنَّ الميِّتَ كان شِيعيًّا ، فأَراد أَن الجُودَ اتَّبعَ مَذْهبَه ، وجعلَ « أَربعاً » اسمَ « كان » وهو نكرة « وتكبيرَ

(١) س : « مجمع » وهى بهامش ظ .

المُصلِّين » خبرًا وهو معرفة ، وقد جاء ذلك عن الفُصَحاء ، قال معَقِّر بن حمار[١] :

أتيناه لِلنُّعمَى فكان ثَوَابَه قَلُوصٌ وَوَطْبَا حاذرٍ مَذِقانِ

٢٠ وما كنتُ أَدْرِى - يَعلَمُ اللهُ - قبلَها
بِأَنَّ النَّدَى فى أَهْلِه يَتشَيَّعُ

٢١ وقُمْنا فَقُلْنا بعدَ أَنْ أُفرِدَ الثَّرَى
بِهِ ما يُقالُ فى السَّحَابةِ تُقْلِعُ

٢١ [ص] هذا من قول مسلم :

فاذهَبْ كما ذَهبتْ غَوادِى مُزْنَةٍ أَثنَى عليها السَّهْلُ والأَوعارُ

٢٢ أَلَمْ تَكُ تَرْعانا[٢] مِنَ الدّهْرِ إِن سَطَا
وتَحفَظُ مِنْ آمالِنا ما يُضَيَّعُ[٣] !

٢٢ - (العبدى) : « مِنْ أَيَّامِنا ما تُضَيِّعُ »[٤] و « مِنْ آمالِنا ما تُضيِّعُ » .

٢٣ وتَلبَسُ أَخلاقًا كِرامًا كأَنَّها
على العِرْضِ مِنْ فَرْطِ الحصَانةِ أَدرُعُ !

---

(١) قال فى اللسان (مادة عقر) : ومعقر اسم شاعر وهو معقر بن حمار البارقى حليف بنى نمير .

(٢) فى الأصل « ألم يك يرعانا . . . ويحفظ » وما أثبتناه رواية س وعليه السياق لما جاء بعده .

(٣) جاء فى ظ : وروى العبدى من « أيامنا » .

(٤) س : « ما نضيع » .

٢٤ وتَبْسُطُ كَفًّا فى الحُقُوقِ كَأَنَّما
أَنامِلُها فى البأْسِ والجُودِ أَذْرُعُ[١] !

٢٥ وتَرْبطُ جَأْشًا والكُمَاةُ قُلوبُهمْ
تَزَعْزعُ خَوْفًا مِنْ سُيوفٍ تَزعزعُ[٢] !

٢٦ وأُمنيَّةُ المُرتادِ تُحضِرُكَ[٣] النَّدَى
فيَشفَعُ فى مِثْلِ المَلا فَيُشَفَّعُ!!

٢٦ – وفى نسخةٍ «يَحضُره النَّدَى» .

٢٧ فأُنطِقَ فيها حامِدٌ وهْوَ مُفْحَمٌ
وأُفحِمَ فيها[٤] حاسِدٌ وهْوَ مِصْقَعُ

٢٧ – أُنطِقَ أَى سَهُلَ عليه الكلامُ لوجوده ما يُريد من ثنائه . وأُفحِم حاسدٌ فلم يَجِدْ ما يقوله لفقد عُيُوبه .

٢٨ أَلا إنَّ فى ظُفْرِ المَنِيَّةِ مُهْجَةً
تَظَلُّ لها عَيْنُ العُلى وهْىَ تَدْمَعُ

٢٩ هىَ النَّفْسُ إنْ تَبْكِ المَكارِمُ فَقْدَها
فَمِنْ بينِ أَحشاءِ المكارِمِ تُنْزَعُ

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى نسخة م من ديوان الصولى .
(٢) س : « من قنا يتزعزع » وزوتها ظ .
(٣) س : « يحضرك »
(٤) م : « وأفحم فيه » .

٣٠ أَلَا إِنَّ أَنفاً لم يَعُدْ وهوَ أَجدَعُ
لِفَقْدِكَ عندَ المَكْرُمات لأَجْدَعُ

٣١ وإِنَّ امرءًا لم يُمْسِ فيكَ مُفَجَّعًا
بِمَجْلُودِه فى عَقْلِـــــهِ لَمُفَجَّعُ

٣١ – [ع] هذا على التقديم والتأْخير ، والأَحسنُ فى الترتيب أَن يكون « فى نفسه »[1] بعد « مُفجَّع » لأَن قولَك إِنَّ أَخاك لراغبٌ فيك أَحسنُ من قولك إِنَّ أَخاك فيك لَراغب ، وذلك جائز إِذا كانت اللام مُقدّرة فى أَوّل الكلام ولذلك قال الأَوّل :

إِنَّ الذى خَصَّنى عَمْدًا مَودّتَه على البِعادِ لَعندى غيرُ مَعْذُور

أَراد لَغيرُ معذورٍ عندى .

(١) هى رواية س ، وقال فى ظ : ويروى « فى رأيه » .

١٩٧

وقال يَرثى أَبَا نَصْر مُحمّدَ بنَ حُمَيْد :

١ أَصَمَّ بِكَ النَّاعِى وإِنْ كانَ أَسمَعا
وأَصبَحَ مَغْنَى الجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعا

٢ لِلَحْدِ أَبِى نَصْرٍ تَحِيَّةُ مُزْنَةٍ
إِذا هِىَ حَيَّتْ مُمْعِرًا [١] عادَ مُمْرِعا

فى الثانى من الطويل .

٢ ـ يقال « أَمعرَ » المكانُ إذا لم يكن فيه نَبْت ، وهو مكانٌ مَعِرٌ ومُمْعِر ، والرجل مُمْعِر إذا لم يكن له مال ، وفى الحديث (ما أَمعَرَ حاجٌّ قَطُّ) ، ويقال لِلمِنْسَم أَمعرَ وكذلك للحافر إذا لم يكن عليه شَعَر ، قال امرؤ القيس :

تَطايرَ ظُرّانُ [٢] الحَصَى بمناسِمٍ صِلابِ العُجَا [٣] مَلْتُومُها [٤] غيرُ أَمْعَرِ

« ملثوم » و « ملتوم » بالتاء والثاء .

٣ فلَمْ أَرَ يَومًا كانَ أَشبَه ساعةً
بِيَوْمى مِنَ اليومِ الذى فيهِ وَدَّعا

---

(١) قال الصولى : ويروى « مجدباً » ، وكذلك روتها ظ .

(٢) جمع الظرو وهو قطعة حجر له حد كحد السكين .

(٣) جمع عجوة وهى عصبة فى باطن يد الناقة .

(٤) لتت الحجارة رجل الماشى عقرتها .

٤ مَصِيفٌ أَفاضَ الحُزْنُ فيه جَداوِلًا
مِنَ الدَّمْعِ حتَّى خِلْتُه عادَ[١] مَرْبَعا

٥ ووَاللهِ لا تَقْضِى العُيُونُ الذى لهُ
عليها ولَوْ صارَتْ معَ الدَّمعِ أَدْمُعا

٦ فَتًى كانَ شَرْبًا لِلعُفَاةِ[٢] ومَرْتَعًا
فأَصْبَحَ لِلهِنْدِيَّةِ البِيضِ مَرْتَعا

٧ فَتًى كُلَّما ارتادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى
مَفَرًّا غدَاةَ المَأْزَقِ ارتادَ مَصْرَعا

٨ إذا سَاءُ يَوْمٌ فى الكَرِيهةِ مَنْظَرًا[٣]
تَصَلَّاهُ عِلْمًا أَنْ سَيحسُنُ مَسْمَعا

٩ فإِنْ تُرْمَ عَنْ عُمْرٍ تَدَانَى بهِ المَدَى
فخَانَكَ حتَّى لم يَجِدْ فيك[٤] مَنْزَعَا

١٠ فمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيفَ لاقَى ضَرِيبَةً
فَقَطَّعَها ثُمَّ انثَنَى فتَقَطَّعا !

---

(١) س : « صار » .
(٢) هـ ل : « للعوالى » .
(٣) هـ ش ، هـ ل : « إذا ساء يوماً فى الكريهة منظر » وروتها ظ .
(٤) م ، س : « حتى لم تجد فيه » .

١٩٨

قافية اللّام

وقال يَرثِى مُحمّدَ بن حُمَيد ، ويُسمَّى أَيضًا قَحْطبة ، ويقال قَحْطَبَةُ أَخُوه :

١ بِأَبَى وغيرِ أَبى وذَاكَ قَلِيلُ
ثاوٍ عليهِ ثَرَى النِّباجِ[1] مَهِيلُ

٢ خَذَلتْهُ أُسرَتُه كأَنَّ سَرَاتَهُمْ
جَهلُوا بِأَنَّ الخاذِلَ المَخْذُولُ

٣ أَكَّالُ أَشلاءِ الفَوارِسِ بالقَنا
أَضحَى بِهِنَّ وشِلْوُهُ مَأْكُولُ !

الثانى من الكامل .

٣ـ « الشِّلْو » ما يَبقى من اللحم إذا أُخِذ بعضُه ، وهذه استعارة ليست بالواقعة موقع غيرها ، لأَنَّ هذا المرثىّ لا يأْكل أَشلاءَ الفوارس ، ولكنه جعل قتلَهم مثلَ أَكلِهم .

٤ كُفِّى فَقَتْلُ مُحمَّدٍ لى شاهِدٌ
أَنَّ العَزِيزَ معَ القَضاءِ[2] ذلِيلُ

---

(١) اسم مكان .

(٢) س : « مع القضاء » .

٥ إنْ يُسْتَضَمْ بعدَ الإبَاءِ فإنَّه
قَدْ يُسْتَضَامُ المُصْعَبُ المَعْقُولُ[١]

٦ مُسْتَحسِنٌ وَجْهَ الرَّدَى فى مَعْرَكٍ
وَجْهُ الحياةِ بِحَوْمَتَيْهِ جَمِيلُ

٦ – يقول : استحسن الموتَ واختارَه فى موضعٍ كان وجهُ الحياةِ فيه جميلاً ، أى لو فَرَّ فيه لم يكن مَلُوماً ، ولكن آثَرَ الموت على الفرار .

٧ أَنسَى[٢] أَبَا نَصْر نَسِيتُ إذنْ يَدِى
فى حَيْثُ يَنْتَصِرُ الفَتى ويُنِيلُ ؟ !

٨ هَيْهَاتَ لا يَأْتِى الزَّمانُ بِمِثْلِه
إنَّ الزَّمانَ بِمِثْلِه لَبَخِيلُ !

٩ ما أَنتَ بالمَقْتُولِ صَبْرًا إنَّما
أَمَلِى غَداةَ نَعِيِّكَ المَقْتُولُ

١٠ لِلسَّيْفِ بَعْدَكَ حُرْقَةٌ وعَوِيلُ
وعليكَ لِلمَجْدِ التَّلِيدِ غَلِيلُ

١١ إنْ طالَ يَوْمُكَ فى الوَغَى فلقَدْ تُرَى
فيهِ ويَوْمُ الهَامِ منكَ طَوِيلُ

١١ – ويروى « إن طال نَوْمُك » أى إن نمتَ نَومةً لا انتباه لها فقد كنتَ تُدرِك فى الحرب الثأْرَ المُنِيم .

(١) س : « يقتاد فحل الصرمة المعقول » .
(٢) أراد الاستفهام فحذف .

١٢ فَستذكُرُ الخَيْلُ انصِلاتَكَ فى السُّرَى[1]
والقَفْرُ مَعْرُوفُ الرَّدَى مَجْهُولُ

١٢ – أى سَتذكُر الخيلُ ركوبَك بها القِفَارَ سارياً ليلاً والهلاكُ بها موجود ، والطريقُ بها مجهول .

١٣ وتُفَلَّلُ الأَحسَابُ بَعْدَكَ والنُّهَى
والبِيضُ مُلْسٌ ما بِهِنَّ فُلُولُ

١٤ مَنْ ذَا يُحَدثُ بالبَقاءِ ضَمِيرَه
هَيْهاتَ أَنتَ على الفَناءِ دَلِيلُ !

١٥ يا ليتَ شِعْرى بالمكارِمِ كُلِّها
ماذا وقَدْ فَقَدَتْ نَداكَ تَقُولُ ؟

١٦ كَمْ مَشْهَدٍ قَدْ جَدَّدَتْهُ لكَ العُلا
وكأَنَّه بالأَمسِ وهْوَ مُحِيلُ

١٦ – أى كأَنْ لم يُغنِ بالأَمس ولم يكن قبل .

١٧ وكَتِيبَةٍ كُتِبَتْ لها أَروَاحُها
واليومُ أَحمرُ مِنْ دَمٍ مَصْقُولُ

١٧ – ويُروى « كُتِبَتْ له »[2] أَى كُتِبتْ له لِيُثابَ عليها ، ويجوز « كُتِبت له » أَى ليتولَّى قَبْضَهَا .

---

(١) س : « فى الوغى » .
(٢) وهى الرواية فى س .

١٨ ما شَكَّ أَثبَتُهمْ يَقِينًا أَنَّه
لِلمَوْتِ فى قَبْضِ النُّفُوسِ رَسُولُ

١٩ يا يَوْمَ قَحْطَبَةٍ لقَدْ أَبقَيْتَ لى
حُرَقًا أَرَى أَيَّامَها مَتَطَوِّلُ

٢٠ لَيْثٌ لوَ انَّ اللَّيثَ قامَ مَقَامَه
لانصاعَ وهْوَ يَرَاعةٌ إِجْفِيلُ[1]

٢٠ – « اليَرَاعة » الجبان ، شَبَّهه باليراعة وهى القَصَبَة .

٢١ لَمَّا رأَى جَمْعًا قَلِيلًا فى الوَغَى
وأُولُوا الحِفاظِ مِنَ القَلِيلِ قَلِيلُ

٢٢ لاقَى الكَرِيهَةَ وهْوَ مُغْمِدُ رَوْعِه
فِيها ولكنْ سَيْفُهُ[2] مَسْلُولُ

٢٣ ومَشَى إِلى المَوْتِ الزُّوامِ كأَنَّما
هُوَ فى مَحبَّتِهِ إِليهِ خَلِيلُ[3]

٢٤ لَمْ يُودِ منه وَاحِدٌ لَكنَّما
أَودَى بهِ مِنْ أَسْوَدَانَ[4] قَبِيلُ

---

(١) قال الصولى « إجفيل » عدو سريع أكثر ما ينسب إلى النعامة .

(٢) س : « بأسه » .

(٣) الرواية فى س :

ومشى إلى الموت المريح كأنما هو من سهولته عليه رحيل

وقال الصولى أخذه البحترى فقال :

تسرع حتى قال من شهد الوغا لقاء أعاد أم لقاء حبيب ؟

(٤) « أسودان » قبيلته التى يُعزى إليها .

٢٥ أَضحَتْ عِراصُ مُحمَّدٍ ومُحمَّد
وأَخِيـــــــهما وكأَنَّهُنَّ طُلُولُ

٢٦ أَبَنِى حُمَيْدٍ ليسَ أَوَّلَ ما عَفَا[1]
بعدَ الأُسُودِ مِنَ الأُسُودِ الغِيلُ

٢٦ – [ص] يقول إن قُتلتم وبَقيتْ مَنازلُكم فكذلك الأُسُودُ ليس يذهب غِيلُها وتبقَى هى، وإنما تَذهبُ هى ويبقى غِيلُها .

٢٧ ما زَالَ ذَاكَ الصَّبْرُ وهْوَ عليكمُ
بالمَوْتِ فى ظِلِّ[2] السُّيُوفِ كَفِيلُ

٢٨ مُستَبْسِلُونَ كأَنَّما مُهْجَاتُهمْ
لَيْسَتْ لهمُ إلَّا غَداةَ تَسِيلُ

٢٩ أَلِفُوا المَنايَا فالقَتِيلُ لَدَيْهِم
مَنْ لا تُجَلِّى الحَرْبُ وهْوَ قَتِيلُ[3]

٣٠ إنْ كانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَثكَلَنِيهُمُ
فالدَّهْرُ[4] أَيضًا مَيِّتٌ مَثْكُولُ

٣٠ – يريد أَنَّ الأَشياءَ كلَّها إلى فناء ، وحُكْمُه بأَنَّ الموتَ إذا حَصَل

---

(١) س : « ما خلت » .
(٢) س : « فى قبض النفوس » .
(٣) س : « من لم يخل العيشَ وهو قتيلُ » .
(٤) س ، م : « فالموت » ومن شرح التبريزى يتضح أنها الرواية فى الأصل .

ميِّتٌ مثكولٌ مَبنيٌّ على الحديث الذى رُوى أَنَّ الموتَ إذا حصَلَ وأَهلُ الجنةِ فى الجنة وأَهلُ النَّارِ فى النَّار يُجَاءُ به فى صورة كَبْش أَملَح فيذُبَح بين النار والجنَّة ، فيجزَعُ لذلك أَهلُ النَّار جَزَعاً شديداً لأَنَّ الموتَ لهم راحة ، فهذا معنى قوله : «والموتُ أَيضاً ميِّتٌ مثكولٌ » .

١٩٩

وقال يَرثى القاسمَ بنَ طَوْق :

١ جَوًى سَاوَرَ الأَحشَاءَ والقَلْبَ وَاغِلُهُ
ودَمْعٌ يَضِيمُ العَيْنَ والجَفْنَ هامِلُهْ

فى الثانى من الطويل والقافية متدارك .

١ – « ساورَ » فى معنى واثَبَ . مأخوذٌ من السَّوْرة وهى الارتفاع . و « وَاغِلُهُ » داخلُه ، وأضاف « هامِلاً » إلى الهاء لأَنه يقال هَمَل الدمعُ وهَمَلَتِ العينُ الدمعَ .

٢ وفاجعُ مَوْتٍ لا عَدُوًّا يَخافُهُ
فيُبْقِى ولا يُبْقِى صَدِيقًا يُجَامِلُهْ

٣ وأَىُّ أَخِى عَزَّاءَ أَوْ جَبَرِيَّةٍ
يُنَابِذُه [1] أَوْ أَىُّ رَامٍ يُنَاضِلُهُ

٤ إِذا ما جَرَى مَجْرَى دَمِ المَرْءِ حُكْمُهُ
وبُثَّتْ على طُرْقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُهُ

٥ فَلَوْ شَاءَ هذا الدَّهْرُ أَقصَرَ شَرُّهُ
كَمَا قَصُرَتْ [2] عنَّا لُهَاهُ ونَائِلُهْ

---

(١) هـ س : « يعانده » .
(٢) س : « أقصرت » .

٦ سنَشكُوه إعلانًا وسِرًّا ونِيَّةً
شَكِيَّةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهْ [١]

٦ ـ المعنى مَن لا يستطيع أن يَقاتِله فحذفَ «أنْ» والمجيءُ بها أحسن، لكنَّ حذفَها جائز، وهو فى بعض المواضع أحسنُ منه فى غيره، فإذا كان الكلام مُقتضياً لمجيء الاسم كان حذفُها رديئًا وكلَّما استُغنِى عنه حَسُنَ الحذفُ، فلمّا كان قوله: «من لا يستطيع» مقتضياً لمجيء اسم يَقومُ مقامَ المفعول كان الحذفُ مكروهاً.

٧ فمَنْ مُبلِغٌ عنِّى رَبِيعةَ أنَّه
تَقشَّعَ طَلُّ الجُودِ مِنْها ووَابِلُهْ؟

٨ وأنَّ الحجَى مِنها استَطارَتْ صُدُوعُه
وأنَّ النَّدَى مِنها أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ؟

٩ مَضَى لِلزِّيَالِ القَاسِمُ الوَاهِبُ اللُّهَى
ولَوْ لم يُزايِلْنا لَكُنَّا نُزَايِلُهْ

١٠ ولم يَعلَمُوا أنَّ الزَّمانَ يُرِيدُه
بِفَجْعٍ ولا أنَّ المَنَايَا تُراسِلُهْ

١١ فَتًى سِيطَ [٢] حُبُّ المَكْرُماتِ بِلَحْمِهِ
وخامَرَه حَقُّ السَّماحِ وبَاطِلُهْ

---

(١) م: «يقابله».

(٢) السوط خلط الشىء بعضه ببعض.

١٢ فَتًى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبابِ ولم تَكُنْ
تَهُبُّ شَمَالًا لِلصَّديقِ شَمائلُهْ

١٢ – يريد أنه كان فى زمن الشَّبيبة مُتوقِّرًا مُحتنِكاً لا يفعل ما يفعله الشبّانُ، فكأنه لم يَسكَرْ من الشبيبة إذا كان مَن يَجهلُ ويَسلكُ مسالكَ الأغرار فى عصر الشبيبة كأنه سكران .

١٣ فَتًى جاءَه مِقدَارُهُ واثنَتا العُلا
يَدَاهُ وعَشْرُ المَكْرُماتِ أَنَامِلُهْ

١٤ فَتًى يَنْفَجُ الأَقوامُ مِن طِيبِ ذِكْرِهِ
ثَنَاءً كأَنَّ العَنْبَر الوَرْدَ شَامِلُهْ

١٥ لقَدْ فُجِعَتْ عَتَّابُهُ وزُهَيْرُهُ
وتَغْلِبُهُ أُخْرَى اللَّيالى ووَائِلُهْ

١٥ – «وائل» أبو هذه القبائل ، وهو فى النَّسب عتَّاب بنُ سَعْد بنُ زُهير بن جُشُمَ بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب بن وائل ، فكأنه يُريد أباه الأقرب ثم ارتفع حتى بلغ إلى وائل ، وهذا كما تقول فى الكلام لقد فُجعتْ به تميم ثم تزيد فى ذلك فتقول وأُدُّ بن طابِخَة ثم ترتفع فى النسب فتقول وإياسُ بن مُضَر ثم تقول ومُضَر فتُعظِّم الفادحَة كلّما ارتقيتَ فى النَّسب .

١٦ وكانَ لهمْ غَيْثًا وعِلْمًا فمُعْدِمٍ [1]
فيَسْأَلُه أَوْ باحِثٍ فَيُسَائِلُهْ

(١) م : « لمعدم » .

١٧ ومُبْتَدِرُ[١] المَعْروفِ تَسْرِى هِبَاتُه
إليهمْ ولا تَسرى إليهم غَوائِلُهْ

١٨ فَتًى لم تكُنْ تَغلِى الحُقُودُ بِصَدْرِه
وتَغْلِى لِأَضيافِ الشِّتاءِ مَرَاجِلُهْ

١٩ مَلِيكٌ لِأَمْلاكٍ تُضِيفُ ضُيوفُه
ويُرْجَى مُرَجِّيهِ ويُسأَلُ سَائِلُهْ

٢٠ طَوَاهُ الرَّدَى طَىَّ الكِتابِ[٢] وغُيِّبتْ
فَضَـــائِلُهُ عَن قَومِه وفَواضلُهْ

٢١ طَوَى شِيَمًا كانَتْ تَرُوحُ وتَغتدِى
وسَائلَ مَنْ أَعيَتْ عليهِ وسَائِلُهْ

٢٢ فيا عَارِضًا لِلعُرْفِ أَقلَعَ مُزْنُه
وَيا وَادِيًا لِلجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهْ

٢٢ – [ص] يقول : هو وإن ذهبَ فإنَّ مآثِره باقية .

٢٣ أَلَمْ تَرَنى أَنزَفْتُ عَيْنى على أَبى
مُحَمّدٍ النَّجمِ المُشَرِّقِ[٣] آفِلُهْ ؟

٢٤ وأَخْضَلْتُها فيهِ كمَا لَوْ أَتَيْتُه
طَرِيدَ اللَّيالى أَخضَلَتْنى نَوَافِلُهْ !

---

(١) م : « ومبتدئ » .
(٢) م ، س : « الرداء » .
(٣) س : « المغيب » .

٢٥ ولكنَّنى أُطرِى الحُسَامَ إذا مَضَى
وإنْ كانَ يومَ الرَّوْعِ غيرىَ حامِلُهْ !

٢٥ ـ «أُطرى» أصلُه الهمزة ، وهذا المعنى يحتمل وجهين : أحدَهما أن يكون أراد أنّى أُثنى على الحُسام إذا قطع وإن كان حامِلهُ غيرى لأنَّ عادتى الصدق ، وكذلك هذا الهالكُ أُثنى عليه وإن كان قومُه ليسوا رمى إذْ كنتُ من طىٍّ وهو من ربيعة ؛ والآخر أن يكون أومأَ إلى أنه لم يأْخذْ منه عَطِيّةً فى الحياة ولكنه يُثنى عليه لمكان فضلِه .

٢٦ وآسَى على جَيْحانَ إذْ غاضَ مَاؤُه
وإنْ كانَ ذَوْدًا غيرَ ذَوْدِىَ ناهِلُهْ [١]

٢٧ عليكَ أَبَا كُلْثُومِ الصَّبْرَ إنَّنى
أَرَى الصَّبْرَ أُخْرَاهُ تُقًى وأَوائِلُهْ

٢٨ تَعَادَلَ [٢] وَزْنًا كلُّ شىءٍ ولا أَرَى
سِوَى صِحَّةِ التَّوْحيدِ شيئًا يُعادِلُهْ

٢٨ ـ [ص] يقول الصبرُ لا يَعدِل لُه فى الثواب إلاّ التوحيد .

٢٩ فأَنتَ سَنَامٌ لِلفَخارِ وغارِبٌ [٣]
وصِنْوَاكَ مِنْهُ مِنْكَبَاهُ وكاهِلُهْ

(١) قال الصولى: ولما كان جيحان موصوفاً بالطيب وكنت لو غاض أحزن له وإن لم يكن شربى ولا شرب إبلى منه . . وهذا مثل .
(٢) م ، س : « يعادل » .
(٣) س : « وحارك » .

٢٩ ـ [ص] الهاء فى « منه » للمتوفى . و « صِنْوَاه » أَخَواه ، يُخاطبُ ابنَ الميّتِ .

٣٠ ولَيْسَتْ أَثافِى القِدْرِ إلّا ثَلاثُهَا
ولا الرَّمْحُ إلّا لَهْذَمَاهُ وعامِلُهْ

٣٠ ـ إن شئتَ جعلتَ « الأَثافى » فى موضع نصب ورفعت « ثلاثها » لأَنك تجعلها اسمَ « ليس » ، وإن شئتَ رفعتَ الاسم والخبر على رأى مَن يقول ليس الطِّيبُ إلاَّ المسكُ ، وإن شئتَ نصبتَ على الخبر ، والأَحسنُ أَن ترفع « ثلاثها » لأَنَّ قوله : « إلاَّ لَهْذماه وعامِلُهْ » لا يمكن فيه إلاَّ الرفع إذا نصبتَ « الرمح » وإن رفعته فجائز على ما تقدم . و « اللَّهذمان » أَراد بهما السِّنان والزُّج ، وكلّ حديد ماض لَهْذَم ، ويجوز أَن يعنى بـ « اللهذمين » جانِبا السِّنان .

٢٠٠

وقال يَرثى ابنيّ عبدِ الله بنِ طاهرٍ وكانَا صَغِيريْن :

١ ما زَالتِ الأَيّامُ تُخْبِرُ سَائلاً
أَنْ سَوْفَ تَفْجَعُ مُسْهِلًا أَوْ عاقِلا

الأَول من الكامل والقافية متدارك .

١ ــ « العاقل » ها هنا فى معنى النازل بالمَعْقِل .

٢ إنَّ المَنُونَ إذا استَمرَّ مَرِيرُها
كانَتْ لهَا جُنَنُ الأَنامِ مَقَاتِلا

٣ فى كُلِّ يَوْمٍ يَعْتَبطنَ نُفُوسَنا
عَبْطَ المُنَحَّبِ جِلَّةً وأَفَائِلا

٣ ــ « العَبْط » والاعتباط نَحْرٌ مِن غير عِلَّة ، و « المُنحَّب » الناذِرُ . و « النَّحْب » النَّذْر ، قال الشاعر :

إنى حَلفْتُ ولستُ كاذِبَهُ حِلْفَ المُلبِّدِ[1] شَفَّه النَّحْبُ

و « الجِلَّة » المسَانُّ من الإبل و « الأَفائل » صِغارُها ، وهى مثل الإفال قال عبّاس بن مِرْداس :

وإلاَّ أَفائلَ أُعطِيتُهـا عِداادَ قَوائِمِهِ الأَربعِ

٤ ما إنْ تَرَى شَيْئًا لِشىءٍ مُحْيِيًا
حتَّى تُلاقِيَهُ لِآخَرَ قاتِلا

(١) « الملبد » اللاصق بالأرض لا يبرحها .

٥ مِنْ ذاكَ أَجهَدُ أَنْ أَرَاهُ فلا أَرَى
حَقًّا سِوَى الدُّنيا يُسَمَّى بَاطِلا

٦ لِلهِ أَيَّةُ لَوْعَةٍ ظِلْنا بِهَا
تَرَكتْ بَكِيَّاتِ [١] العُيُونِ هَوَامِلا!

٧ مَجْدٌ تَأَوَّبَ طارِقًا حتَّى إذا
قُلْنا أَقَامَ الدَّهْرَ أَصبَحَ رَاحِلا

٨ نَجْمانِ شَاءَ اللهُ أَلّا يَطْلُعا
إلّا ارتدَادَ الطَّرْفِ حتَّى يَأْفِلا

٩ إنَّ الفَجِيعةَ بالرِّياضِ نَوَاضِرًا
لأَجَلُّ مِنها بالرِّياضِ ذَوَابِلا

١٠ لَوْ يُنْسَآنِ لَكانَ هذا غارِبًا
لِلمكرُماتِ وكانَ هذا كاهِلا [٢]

١١ لَهْفِي [٣] على تلكَ الشَّوَاهِدِ فيهما
لَوْ أُمهِلَتْ حتَّى تكونَ شَمائِلا

---

(١) قال الصولى فى شرحه : « البكيّات » المنقطعات الدموع ، وشاة بَكيّة إذا انقطع لبنها .

(٢) قال الصولى فى كتابه الأخبار (ص ٢١٧) : وروى « لو ينشآن » بالشين المعجمة ، كذا ينشده الناس ، والذى أقرأنيه أبو مالك عون بن محمد الكندى « لو ينسآن » أى لو يؤخران وهو الأجود عندى .

(٣) س : « لهفاً » .

١٢ لغَدَا سُكُونُهما حِجًى وصِبَاهُما
حِلْمًا [١] وتلكَ الأَريحيَّةُ نائِلا

١٣ ولَأَعْقَبَ النَّجمُ المُرِذُّ بِدِيمَةٍ
ولَعَادَ ذَاكَ الطَّلُّ جَوْدًا وَابِلا

١٣ ـ يُقال أَرَذَّ السَّحابُ إذا أَتى بالرَّذاذ وهو فوقَ الطلّ .

١٤ إنَّ الهِلالَ إذا رَأَيتَ نُمُوَّهُ
أَيقَنْتَ أَنْ سَيكونُ بَدْرًا كامِلا

١٥ قُلْ لِلأَمِيرِ وَإِنْ لَقِيتَ مُوَقَّرًا
منهُ بِرَيْبِ الحَادثاتِ حُلاحِلا

١٥ ـ « المُوقَّر » يحتمل أَن يكون مِن الوَ ار وهو أَشبهُ بالمدح ، ويجوز أَن يكون من التَّوقير الذى هو تأْثير ، من قولهم فى الحَجَر وَقرةٌ أى هَدْمةٌ ، قال الشاعر [٢] :

أُتِيحَ لها شَثْنُ البنانِ مُكزَّمٌ أَخو حُزَنٍ قد وقَّرتْه كُلُومُها

و « حُلاحل » حليم رَكِين .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى نسخة الصولى كذلك ، غير أنّ الصولى قال فى الأخبار (ص ٢١٨) : والصحيح « وصباهما كرماً » وقال عقبه : كذا أنشد والصحيح « وصباهما حلماً » ودلل على صحة تلك الرواية .

(٢) قال فى اللسان (مادة وقر) : ورجل موقر أى مجرب ، وقد وقرتنى الأسفار أى صلبتنى ومرنتنى عليها ، وأنشد البيت ونسبه لساعده الهذلى يصف شهدة ، وروايته فيه :

أتيح لها شَثْنُ البراثن مكزمٌ أخو حزَنٍ قد وقرته كُلُومها

وقال « لها » للنحل ، ومكزّم قصير ، وحزَن من الأرض واحدتها آحزنة .

١٦ إنْ تُرْزَ فى طَرَفَىْ نَهارٍ واحدٍ
رُزْئَينِ هَاجَا لَوْعَةً وبَلابِلا

١٦ ـ خفَّفَ الهمزة فى « إن تُرزأ » فلَّما صارتْ ألفاً حذفَها فى الجَزْم .

١٧ فالثُّكْلُ ليسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّة
إلّا إذا ما كانَ وَهْمًا بَازِلا

١٧ ـ يُقال جَمَلٌ وَهْم إذا كان عظيمَ الخَلْق ذَلُولاً .

١٨ لا غَرْوَ إنْ فَنَنانِ مِنْ عِيدانِهِ
لَقِيَا حِمَامًا لِلْبَرِيَّةِ آكِلا [1]

١٩ إنَّ الأَشاءَ إذا أَصابَ مُشذِّبٌ
منهُ اتمَهَلَّ ذُرًى وأَثَّ أَسَافِلا

١٩ ـ يُقال شَذَّبتُ النخلةَ وغيرَها إذا أَخذتَ منها مالا تحتاج إليه على سبيل الإصلاح لها ، وأَصلُ التشذيب التفريق ، و « اتمهَلَّ » طالَ وانتصبَ . والمعنى أنَّ هذين المفقودَيْن وإن كانا قد فجعَاكَ فإنهما فى المثَل كما يأْخذَه المُشذِّبُ عن النخلةِ فتقَوى بذلك ويَستقيمُ شأْنُها[2] .

٢٠ حِقْفَانِ هالَهُما القَضاءُ وغادَرا
قُلَلًا لنا دُونَ السَّماءِ قَوَاعِلا

(١) هذا البيت مؤخر فى ش عن التالى له ، ولكنه فى جميع النسخ على الترتيب الذى أثبتناه هنا عليه .

(٢) قال الصولى : الأشاء صغار النخل ، والمشذِّب الذى يأخذ بالمنجل أصولَ سعفه لينفس على النخل ، يقول : لا غرو أن مات لك ابنان طفلان ، فهذا دليل على أن الله يكثر ولدك ، و« اتمهلَّ » طال يريد النخل ، « وأثَّ أسافلا » يريد غلظَ وكثفَ .

٢٠ ـ جعل الهالكِيْن كالحِقْفين على سبيل التعزيَّة وتيسير الخَطْب ، وجاءَ بـ « قَوَاعل » ها هنا فى معنى أعالى الجبال ، وقال قوم « القاعلة » ما دون الجبل الأَعلى ، ولم يُرد الطائى إلاَّ المعنى الأَول ، قال امرؤ القيس :

كأَنَّ دِثارًا حَلَّقتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ مَلاعٍ لا عُقَابُ القَوَاعِلِ

ـ « دِثار » اسم راعى إبل امرئ القيس ، وفسّروا « عُقَاب مَلاعٍ » السريعة الاختطاف ، واحتجُّوا بهذا البيت على أَن « القَوَاعل » ما دون الجبل فى الطول ، وليس فى البيت دليلٌ على ذلك ، وإنما أَراد أَنَّ دثارًا أَوردتْ بلبونه عُقَابٌ قد أُعدّتْ للصيد فهى تختطف ، لا عُقَا بألزمتْ الجبلَ فلم تنهض للصيد ـ [ص] و « هَالَهما » سَلَبهما ، يقول : إنْ أَخذَ القضاءُ طفليْن فقد تَركَ الكبارَ من الأَمراء والسادة .

٢١ رَضْوَى وقُدْسَ وَيَذْبُلًا وعَمايَةً
ويَرمْرَمًا [١] ومُتَالِعًا ومُوَاسِلا

٢١ ـ قد تَردَّدَ ذِكْرُ هذه الجبالُ فى شعر الطائى ، إلاَّ « يرَمْرَماً » فلم يذكره قبل ذِكره فى هذا البيت ، وإذا حُمِل هذا الاسمُ على موجب الاشتقاق فهو من اليَرَم بُنى على [فَعَلْعَل] و « اليَرَم » كلمة مُهملة ، ويجوز أَن تكون فيما فُقِد من المسموع ، ويَرَمٌ فى معنى أَرَمٍ كما يقال طَيْر أَناديد ويَناديد ، ورَمْل نَبْرِين وأَبرِين ، فكأَنَّ أَصلَه أَرْمرَم . و « مُواسل » رأْس جبل طىٍّ ، وقد ذكره حاتم فى قوله :

* وغَدْوًا يَجيءُ ما يقولُ مُوَاسِلُ *

---

(١) س : « ويلملماً » .

٢٢ الطَّاهِرَيْنِ وإخوَةً أَنْجبتَهُمْ
كالحَوْمِ وُجِّهَ صادِرًا أَوْ نَاهِلا

٢٢ - [ص] « الطاهِرَيْن » يعنى ولَدَيْه طاهرًا الكبيرَ وطريدَه، وليس اسمُه طاهرًا فسماه بإسم أخيه كما قالوا العُمَران * . و « الحَوْم » الكثيرُ من الإبل ، ولمّا ذكر أسماء هذه الجبال ذكرَ أولادَ هذا الممدوح وأخبرَ أنهم كثيرٌ لا ينقص عددُهم بمن فُقِد لأنهم كالحَوْم من الإبل . ويُروى « أشبيتَهم » مكان « أنجبتَهم » ، والمعنى متقارب ، يُقال أشبَى الرجُلُ إذا وُلِد له أولادٌ أذكياء ، وعلى ذلك فسّروا قول العَدْوَانىّ :

وهمْ مَن ولَدُوا أَشْبُوا بِسرِّ الحَسبِ المَحْضِ

وقيل معنى « أَشبوا » كفَوْا ، وهو راجعٌ إلى الوجه الأول ، لأنَّ الأبَ إذا كان نَجيباً فجاءَ ولدُه كذلك فكأنَّ أباه قد كفَاه العارَ والنقص .

٢٣ شَمخَتْ خِلالُكَ أَنْ يُؤَسِّيكَ امرؤٌ
أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ ناسِيًا أَوْ غافِلا

٢٤ إلَّا مَوَاعِظَ قَادَها لكَ سَمْحَةً
إسجَاحُ لُبِّكَ سامِعًا أَوْ قائِلا

٢٥ هَلْ تَكَلفُ الأَيْدِى بِهَزِّ مُهَنَّدٍ
إلَّا إذا كانَ الحُسَامَ القاصِلا ؟ !

٢٠١

وقال يَرثى بنى حُمَيْد ، وقد ماتَ بعد أَبى نَصْر مُحمّد — وهو الأَكبر — أَخَوانِ له يُقال لأَحدهما مُحمَّدٌ وللآخر قَحْطَبَة :

١ ذَكَرْتُ مُحمّدًا بِقَتْل مُحمَّدٍ
وقَحطبَةً ذِكْرًا طَوِيلَ البَلابِلِ

فى الثانى من الطويل والقافية متدارك .

١ — « البَلابِل » جمع بَلبال وهو ما يَجدُه الرجلُ فى صَدْره من همٍّ أَو حُزْن . ويُروى : « ذكرتُ أَبا نصرٍ بموتِ محمّدٍ وقحطبةً »[١]

٢ وكانَ الأَسَى قَدْ آلَ فيهِ إِلى الحَشَا
فلمّا استجَرَّاهُ[٢] جَرَى فى المَفَاصِلِ

٢ — « آلَ » مِنْ قولهم آلَ إلى كذا وكذا أَى رجعَ و صار . « والحشَا » جانب الجَوْف ، أَى كان الحزنُ على هذا الهالكِ قد استقر فى موضعٍ من الجسد ، وشَبّهه بالغدير الذى كان واقفاً فلمّا فاضتْ عليه التِّلاعُ التى تُقابله امتدَّ فساحَ فى الأَرض . يقول : فقد عَمَّ الحزنُ على هذا المفقود جميعَ الجسد بما حدثَ بموت هذَيْن .

---

(١) هى الرواية فى س ، ل .
(٢) م ، س : « استَخفّاه » .

٣ كمَاءِ الغَدِير امتَدَّ بعدَ وُقُوعِه [١]
بما هَاجَ مِنْ فَيْضِ التِّلاعِ القَوَابِلِ

٤ ثَوَوْا فى الثَّرَى منْ بعدما سُرْبِلُوا العُلا
ومنْ بَعْدِما سُمُّوا [٢] نُجومَ المَحافِلِ

٥ مَصارِعُ لَمْ تُورِثْ شَنَارًا وإنَّها
لَيرتَعُ فيها شامِتٌ عندَ جاهِلِ

٦ لَعَمْرُكَ ما كانُوا ثَلاثَةَ أُخوَة
ولكنَّهمْ كانوا ثَلاثَ قَبَائِلِ !

(١) م ، س : « وقوفه » .
(٢) س : « أن « سُمّوا » .

٢٠٢

وقال يَرثى يَحْيى بنَ عِمْران القُمِّى :

١ لا تَعْذِلى جَارَتى أَنَّى لكِ العَذَلُ
فَلا شَوًى ما رُزِئناهُ ولا جَلَلُ [١]

٢ إحدَى المَصَائبِ حَلَّتْ فى دِيار بَنِى
عِمْرانَ ليسَتْ لها أُخْتٌ ولا مَثَلُ

٣ أَلوَى بِتيجانِهم [٢] يَوْمٌ أَتيحَ لهُ
نَحْسٌ وأَثقَبَ فيهِ نارَهُ زُحَلُ

فى الأول من البسيط والقافية متراكب .

٣ ـ هذا البيت مبنىٌّ على أَنَّ زُحَل عند المُنجِّمين كوكبُ نَحْسٍ ، والهاءُ فى « نارِه » يُحتمل أن تكون مردودةً إلى « زُحَل » وإلى « يوم » وإلى « نَحْس » ، ويحتمل أن تكون « النار » ها هنا نار الحرب . وفى البيت صنعة وهو أَنَّ زُحَل يقال إنه باردُ المزاج فجعَلَه يَثقُب النارَ ، ولم يزل القائلُ يستعير هذه الكلمة فيقول ثَقَبتْ نارُ أَبى فلانٍ إذا ظَفِرَ وبلغَ ما يُريد ، فيمكن أن يكون الطائى استعارَ ذلك لِزُحَل ، وجعَلَه لمّا كان كوكباً نَحْساً كالظافرِ بموتِ هذا المفقود .

---

(١) قال فى اللسان (مادة شوا) : الشوى إخطاءُ المقتل ، ويقال كلُّ شىء شوى أى هين ما سلم لك دينك ، والشوى رزال المال ... وقال : « الجلل » الشىء العظيم والصغير الهين : وهو من الأضداد فى كلام العرب .

(٢) م : « بتاجهم » .

٤ أَلوَى بهِ وهْوَ مُلْوٍ بالقَنا لِتَوَا
لِيها استِواءٌ وفى أَعناقِها مَيَلُ

٤ ـ « ألوَى » بالشىء إذا ذهبَ به ، يعنى أن الدهرَ أَلوَى بهذا الميِّت ، وهو ـ يعنى به المفقود ـ مُلْوٍ بالقَنا، أى يَطعنُ بها فيدقُّها ، وهذه الرواية أَبينُ من رواية مَن روَى « التى لِتواليها » لأَنَّ فى هذه وضوحاً ليس فى تلك ، وجعلَ أَعناقَها تميل لأَنها تضطرب، كما قال الآخر :

أَلستُ أَردُّ القِرْنَ يَركبُ رَدْعَه[1] وفيه سِنانٌ ذو غِرارين نايِسُ[2]

وقد يمكن إذا رويتَ « التى » أَن تجعل المقصودَ بها الإبل ، أى كان هذا الرجلُ يُبرِّح بها فى السير ، ويُقوّى ذلك روايةُ مَن رَوَى « لِتَواليها سنَادٌ » أى اختلاف لأَن عَجُزَ البعير يُخَالِفُ سنامَه فى الخِلقة .

٥ كانَ الذى ليسَ فى مَعْجُومِهِ خَوَرٌ
لِلعَاجِمينَ ولا فى هَدْيِهِ خَلَلُ

٦ كانَ الذى يُتَّقَى رَيْبُ الزَّمانِ بهِ
إِذا الزَّمانُ بَدَتْ أَنيابُه العُصُلُ[3]

---

(١) قال فى اللسان(مادة رَدَعَ) : ويقال للقتيل ركبَ رَدْعَه إذا خرَّ لوجهه على دمه، وطعنه فركب ردعه أى مقاديمه وعلى ما سال من دمه ،وقيل ركبَ ردعه أى خرَّ صريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه وإن لم يمت بعدَ، غير أنه كلما هم بالنهوض ركب مقاديمه فخرَّ لوجهه . وقيل « ردعه » دمه ، وركوبه إياه أن الدم يسيل ثم يخر عليه صريعاً .

(٢) قال فى اللسان (مادة نوس) « النوس » تذبذب الشىء ، ناس ينوس نوساً ونوساناً تحركَ وتذبذب متدلياً .

(٣) لم يرد هذا البيت فى نسخة م .

٧ أَحَلَّنا الدَّهْرُ فى بَطْحاءَ مُسْهِلَةٍ
لَمَّا تَقوَّضتَ عنها أَيُّها الجَبَلُ [١]

٨ ما كانَ أَحسَنَ حالاتِ الأَشاعِرِ يا
يَحْيَى بنَ عِمْرانَ لَوْ أُنسِى لكَ الأَجَلُ

٩ أَىُّ امْرِئٍ مِنْكَ أَثْرَى بينَ أَعظُمِهِ
ثَرَى المُقطَّمِ أَوْ مَلْحُودُه الرَّمِلُ

٩ ـ أَثرَى أَنبتَ لمّا دُفِنَ . (ع) : «أَثرىَ بين أَعظُمِه» و «أَضلُعِه»، والهاءُ فى «أَضلُعه» تحتمل وجهين : أَحدهَما أَن تكون راجعةً على المرثىّ ، يقول : أَىُّ امرئٍ منك أَثرَى ثَرى المقطمِ لمّا دَخل بين أَضلعِه لبلاه، ويكون «أَثرَى» بمعنى استغنىَ ، أَى أَنَّ الثَّرَى قد غَنِىَ بأَكله أَعظمَك ، والمعنى فى «أَعظمِهِ» و «أَضلُعِه» واحد ، والآخر : أَن تكون الهاءُ عائدةً على المقطم وتستعير له «الأَضلُعَ» ومثل ذلك فى شعر الطائى غيرُ مُستقصًى[٢] ، وتكون الرواية «أَثوَى» مِنْ ثَوَى الميّت وأَثواه غيرُه ، وروايته «أَو مَلحُودُه الدَّحِلُ[٣]» و «الدَّحِل» الذى فيه مَيْل ، لأَنَّ القبر يُوصف بالزَّوْر ، قال الشاعر :

فإِن الذى تبكينَ قد حالَ دُونَه تُرابٌ و زَوْراءُ المقامِ دَحُولُ

١٠ لا يُتبِعُ المَنَّ ما جَادَتْ يَداهُ بهِ
ولا تُحكِّمَ فى مَعْروفِهِ العِلَلُ

---

(١) ورد بعد هذا البيت فى م بيت لم يرد فى غيرها من النسخ وهو :
وعُطِّلَ الجودُ إذ خلَّيتَ ناحيةً وعُطِّلَ الرحلُ والترحالُ والجملُ

(٢) على ذلك شرح الصولى ، قال : هذا الموضع – أى المقطم – قد أثرَى أى أنبتَ لما دفنت فيه .

(٣) رواية الصولى فى نسخة م «الرمل» .

١١ ما قالَ كانَ إذا ما القَوْمُ أَكذبَ ما
أَطالَ مِنْ قولِهِمْ تَقْصِيرُ ما فَعَلُوا

١١ ـ [ص] يقول : يَصُدقُ إذا كذَّبَ تقصيرُ فِعْلِهم إطالةَ قولِهم .

١٢ يا مَوْتُ حَسْبُكَ إِذْ أَقصَدْتَ[1] مُهجَتَه
أَوْلا فَدُونكَ لا حَسْبٌ ولا بَجَلُ

١٢ ـ الكلمتان فى معنىً واحد، وكرّرهما لاختلاف اللفظين .

١٣ ما حَالُنا يا أَبا العبَّاسِ بَعْدَكَ هَلْ
تَنْمَى الفُروعُ ويُودِى أَصلُها الأَصِلُ؟

١٣ ـ «الأَصِلُ» فى معنى الأَصيل فحذف الياء كما قال الشاعر :
ولا السِّما كان إن يَسْتعلِ بينهما يَطِرْ بشِدَّةِ يومٍ شَرُّهُ أَصِلُ
والمعنى أَنك إذا أَوديتَ وأَنت الاصِلُ فكيف تُنْمَى الفروعُ بعدك؟

١٤ يا مَوْتُ لَوْ فى وَغًى[2] عاينَتْهُ خَلَدَتْ
عليهِ عَوْضُ[3] دُموعٌ مِنكَ تَنهَمِلُ

---

(١) م : « أنفدت » .

(٢) م : « فى الوغى » .

(٣) قال فى اللسان (مادة عوض) : « عَوْض »ـ يبنى على الحركات الثلاث ـ الدهر، معرفة بغير تنوين، والنصب أكثر وأفشى، وقال الأزهرى: تفتح وتضم، ولم يذكر الحركة الثالثة ، وحكى عن الكسائى « عوضُ »ـبضم الضاد غيرَ منونـ دهر ، وقال الجوهرى : « عوض » معناه الأبد وهو للمستقبل من الزمان كما أن « قط » للماضى من الزمان لأنك تقول عوضَ لا أفارقك تريد لا أفارقك أبداً ، كما تقول قطُّ ما فارقتك ، ولا يجوز أن تقول عوضُ ما فارقتك ، كما لا يجوز أن تقول قط ما أفارقك ، ولو كان « عوضُ » اسماً للزمان إذاً لجرى بالتنوين، ولكنه حرف يُراد به القسم ، كما أن « أجل » ونحوها مما لم يتمكن فى التصريف حُمِلَ عَلَى غير الإعراب .

١٤ – « عَوْضُ » أى الدهر ، وهذا أحسنُ من أن يُجعلَ هاهنا فى معنى القَسَم ، وقال الزِّمانى :

* ولولا نَبْلُ عَوْض فى حُظُبَّاى وأوصالى [1] *

١٥ المُشْعِلُ الحربَ نارًا وهْىَ خامِدَةٌ
والمُسْتَبِيحُ حِمَاها وهىَ تَشتَعِلُ

١٦ بِكلِّ يَوْمٍ وَغًى تَصْدَى الكُماةُ به
على يَدَيْهِ وتَرْوَى البيضُ والأَسَلُ

١٧ يَغْشَى الوَغَى بالقَنا والخَيْلُ عابِسَةٌ
والخيلُ لا عاجِزٌ فيها ولا وَكِلُ

١٧ – (الصولى) : يقول يَغشى الوَغَى بالخيل والخيلُ عابسةٌ فقدّم وأخرّ . (العَبْدى) : وهذا غلط منه .

١٨ والكاشِفُ الكُرَبَ اللَّاتى يَحُفُّ بها
إظلامُ أَمرٍ على البُلْدان يَنسَدِلُ

١٩ بِمشْهَدٍ ليسَ يَثنِيه بهِ زَلَلٌ
ومَنْطِقٍ ليسَ يَعرُوهُ بهِ خَطَلُ

٢٠ مُستَجمِعٌ لا يَحِلُّ الرَّيْثُ عُقْدَتَه
فيهِ ولا يَمْتَطِى إبلاغَه العَجَلُ

(١) قال فى اللسان (مادة حظب) : « الحظبى » : الظهر ، وقيل عرق فى الظهر ، وقيل صلب الرجل ، وأنشد بيت القند الزمانى هذا وقال : أراد بالعوض الدهر ، وقال وروى ابن هانئ عن أبى زيد « الحظنى » بالنون الظهر ، ويروى بيت القند الزمانى « فى حظنباى وأوصالى » .

٢١ بحيثُ لا يَضَعُ الآراءَ مَوْضِعَها
إلَّا فُلانٌ إذا يُدعَى لَها وفَلُ

٢١ ـ أى إلاَّ فُلانٌ وفُلان فحذفَ فى غير النداء ، كما قال أبو النَّجْم :

* فى لُجَّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فَلِ *

٢٢ إذا الرِّجالُ رَأَوْهُ وهْوَ يَفعلُ ما
أعيَاهُمُ فِعْلُه قالوا كَذَا الرَّجُلُ

٢٣ إمَّا يُدَلْ مِنكَ بالمَوْتِ العِدَى فبِما
دَارتْ عليهم بِلا مَوْتٍ لكَ الدُّوَلُ

٢٤ أيَّامَ سَيْفُكَ مَشْهُورٌ وبَحْرُك مَسْـ
ـجُورٌ وقِرْنكَ مَقْصُورٌ لهُ الطِّوَلُ [١]

٢٥ إذْ لابِسُ الذِّلَّةِ المَقْطُوعُ ذُورَحِمٍ
قَطَعْتَه وإذا المَوْصولُ مَنْ تَصِلُ

٢٦ جَرَّعَكَ الدَّهْرُ كاسَ الصبرِ فى لُجَجٍ
لِلمَوْتِ يَغرِقُ فى آذِيِّها الجَبَلُ [٢]

٢٦ ـ «آذِيُّها» مَوْجُها ، ووزن الآذِيّ عندهم [فاعُول] إلى ذلك ذهب

(١) قال الصولى فى شرحه : « الطول » الجبل ، يقول كنت تقصر حبله فقد صار يجول فيه ويرتع ، وهذا مثل لتعالى أعدائه بعده .

(٢) يلى هذا البيت بيت آخر فى نسخة م وهو :

جوفاء مترعـة عَلَّ الأكابر من سعد بمقبرها من بعد ما نهلوا

المتقدّمون ، ولا يمتنع أن يكون منسوباً إلى آذٍ كما تقول فى النسبة إلى قاضٍ قاضِىّ فوزنُه حينئذٍ [فاعىّ] .

٢٧ مَوْتًا وقَتْلًا كأَنَّ الدَّهْرَ يَظمأُ ما
عاشُوا ويَنقَعُ ما ماتُوا وما قُتِلُوا

٢٨ يا شاغِلَ الدَّهْرِ عنّا ما لِصَوْلتِه
مُذْ صالَ فيكَ الرَّدَى إلَّا بِنا شُغُلُ

٢٩ يا حِلْيَةَ المَجْدِ إنَّ المَجْدَ عنْ عُفُرٍ
بَدَا وحِلْيَتُه مِنْ بعدكَ العَطَلُ

٣٠ يا مَوْئِلًا كانَ مَأْوَى الآزِماتِ به
إذَا ادلهَمَّتْ بمكرُوهاتِها العُضُلُ

٣٠ ـ « يا مَوْئلاً » أى يا ملجأً ، و « الآزمات » السّنون التى تَعضُّ ، و « الأَزْمُ » العَضُّ : أى كان مأْوى فى السنين الشدائد . و « ادلَهمَّ » الخَطْبُ إذا أَظلمَ . و « العُضْل » جمع عُضْلة وهى الأَمر العظيم وتُسمّى الداهيةُ عُضْلَة .

٣١ فأَىُّ مُعْتَمِدٍ يَزْكُو بهِ عَمَلٌ
وأَىُّ مُنْتَظَرٍ يَحْيَا بهِ أَمَلُ ؟

٣٢ لكنْ حُسَيْنٌ وأَمثَالُ الحُسَيْنِ إذا
ما النَّاسُ يومَ حفاظٍ حُصِّلُوا قُلَلُ

٣٣ تُنْبِى المَوَاقِفُ عنهُ أَنَّه سَنَدٌ
ويُخبِرُ الرَّوْعُ عنهُ أَنَّه بَطَلُ

٣٤ يُعطِى فَيُجزِلُ أَوْ يُدْعَى فَيَنزِلُ أَوْ
يُؤْتَى لِمَحْمَلِ أَعبَاءٍ فيَحْتَمِلُ

٣٥ تَظُنُّه شَيْخَه لَوْلا شَبِيبَتُه
والزَّرعُ يَنْبُتُ فَذًّا ثُمَّ يكتَهِلُ

٣٥ ـ يقول : تظن هذا المذكور الباقى شَيْخَه أى أباه لولا أنه شاب ، يصفه بالحِلم والوقار وجودةِ الرأى ، ويُقال اكتهلَ النَّبتُ إذا اتصلَ بعضُه ببعض ، واكتهل الغصنُ إذا غَلُظَ واشتدّ ، قال الشاعر :

فتَسَامَى زَمْخرِىٌّ[1] وارِمٌ[2] مالتِ الأَعرافُ منه واكتَهَلْ

وهذا البيت فى صِفة نبات .

٣٦ أَضحَى لنا بَدَلًا منه تَنُوءُ بهِ
والشِّبْلُ مِنْ لَيْثِه إِمَّا مَضَى بَدَلُ

---

(١) قال فى اللسان (مادة زخر) : زخر النبات طال ، وإذا التف النبات وخرج زهره قيل أخذ زخاريه ، وزخارى تام ريان .

(٢) قال فى اللسان (مادة ورم) : ورمَ النبتُ ورماً وهو وارم سمنَ وطال ، وأورد البيت ، ونسبه للجعدى ، وروايته فيه :

فتمطّى زمخرىٌّ وارمٌ من ربيعٍ كلّما خفَّ هَطَلْ

٢٠٣

قافيَة الميم

وقال يَرثى هاشمَ بنَ عبدِ الله بن مالكٍ الخُزَاعى :

١ لَنِمْنا وصَرْفُ الدَّهْرِ لَيسَ بِنائِمٍ
خُزِمْنا لهُ قَسْرًا بغيرِ خَزَائِمِ

فى الثانى من لطويل والقافية متدارك .

١ ــ « الخَزَائم » جمع خُزامة وهى نحو الحَلقة من الشَّعَر تُجعل فى أنف البعير .

٢ أَلَسْتَ تَرَى سَاعاتِهِ واقتِسَامَها
نُفُوسَ بَنى الدُّنيا اقتِسَامَ الغَنائِمِ ؟

٣ لَيَالٍ إذا أَنحَتْ عليكَ عُيونَهَا
أَرَتْكَ اعتِبَارًا فى عُيُونِ الأَرَاقِمِ

٣ ــ ويروى « أَرتْكَ فُتُورًا »[1] أى إذا أَحدقَتْ إليك عُيونُ الأَيّام رأيتَ فيها عُيونَ الأَراقم فاتِرَةً .

٤ شَرِقْنا بِذَمِّ الدَّهْرِ يا سَلْمُ[2] إنَّهُ
يُسِيءُ فما يَأْلُو ولَيْسَ بِظالِمِ

---

(١) هى الرواية فى س .

(٢) س : « ياسهم » .

٤ – «سَلْم» أخو أبي تمام . يقول : الدهرُ يُسيء إلينا وليس بظالمٍ لأنه قضاءٌ عَدْل .

٥ إذا ، فُقِدَ المَفْقُودُ مِنْ آلِ مالكٍ
تَقَطَّعَ قَلْبى رَحْمَةً لِلمَكارِمِ

٦ خَلِيلَيَّ مِنْ بعدِ الأَسَى والجَوى قِفَا
ولا تَقِفا فَيْضَ الدُّموعِ السَّواجِمِ

٦ – أى قِفَا فابكيا لفقدِ هذا الميّتِ بعد الحزن والجوى .

٧ أَلِمَّا فهَذا مَصْرَعُ البأْسِ والنَّدَى
وحَسْبُ [1] البُكا إنْ قلتُ مَصْرعُ هاشِمِ

٨ أَلَمْ تَرَيا الأَيَّامَ كيفَ فجَعْنَنا
بهِ ثُمَّ قَدْ شَارَكْنَنا فى المَآتِمِ ؟!

٨ – أى فجَعتْنا الأَيَّامُ بإهلاكه ثم أَخذَتْ بالحظِّ [2] فى إهلاكه لأنها كانت حسَنةً نَضِرةً فذهبَ ذلك بموته .

٩ خَطَوْنَ إليهِ مِنْ نَدَاهُ وبأْسِهِ
خَلائِقَ أَوْقَى [3] مِنْ سُتُورِ التَّمائِمِ

٩ – أى جاوَزْنَ إليه أخلاقاً من الجُود والبأْس فذهبنَ بها ، وكانت تلك

---

(١) م : « وحسبكا إن قلت . . » .

(٢) كذا بالأصلين الباقين بين يدىّ من شرح التبريزى وهما ش ، ل . . . ولعلها : ثم أخذت تلحظ ما فى إهلاكه .

(٣) م ، س ، ل : « أبقى » .

الأَخلاقُ أَوقَى لنوائبِ الدهر من التَّمائم .

١٠ خَلائِقَ كالزَّغْفِ المُضَاعَفِ لم تَكُنْ
لِتَنْفُذَها يَوْمًا شَبَاةُ اللَّوَائِمِ

١٠ ـ « الزَّغْف » من صِفات الدُّرُوع ، يُقال دِرْع زَغْف قيل إنها الواسعة وقِيل الليِّنة ، وكأَنَّ هذا الاسم مصدر فى الأَصل ، وهو يقع على الواحد والجمع والاثنين ، وربما جاء فى الشعر بتحريك العين فيجوز أَن يكون ضرورةً ، ولا يمتنع أَن يكون على مثل قولهم نَهْر ونَهَر . « وشَبَاة » الشىء حَدّهُ .

١١ ولَوْ عاشَ فِينا بعضَ عَيْشِ فَعَالِهِ
لأَخْلَقَ أَعمارَ النُّسُورِ القَشَاعِمِ

١٢ رَأَى الدَّهْرُ مِنهُ عَثْرَةً ما أَقالَها
وهَلْ حازِمٌ يَأْوِى لِعَثْرةِ حَازِمِ ؟ !

١٢ ـ يقول : الدهرُ حازمٌ فيما هو مُوَكَّل به من إتلاف النُّفوس ، وهو حازم فى دَفْعه عنه وعن الناس بالبأْس والجُود وهما مُتضادان . (ع) : هذا استفهام يُؤدّى معنى النفى ، أَى ليس الدهرُ بحازمٍ فيأْوى لعثرةِ حازمٍ مثلِه ، وهذا كما تقول للرجل إذا أَعيتْك خلائقُه هل فيك حيلة ، أَى ما فيك حيلة .

١٣ لَئِنْ كانَ سَيْفُ المَوْتِ أَسودَ صارِمًا
لَقَدْ فَلَّ مِنهُ حَدَّ أَبيضَ صَارِمِ

١٤ أَصابَ امرءًا كانَتْ كَرَائِمُ مَالِهِ
عليهِ إِذا ما سِيلَ غيرَ كرائِمِ

١٥ جَرَى المَجْدُ مَجْرَى النَّوْمِ منه فلم يَكُنْ
بغيرِ طِعَانٍ أَوْ سَمَاحٍ بِحَالِمِ

١٦ تَبَيَّنُ فى إشراقهِ وهْوَ نائمٌ
بأَنَّ النَّدَى فى رُوحهِ غيرُ نائِمِ

١٧ فإنْ تُوهِ فى الدُّنيا دَعَائمُ عُمْرِهِ
فما جُودُه [١] فيها بِوَاهِى الدَّعائِمِ

١٨ إذَا المَرْءُ لم تَهدِمْ عُلاهُ حَياتُهُ
فليسَ لها المَوْتُ الجَلِيلُ بِهَادِمِ

١٨ ـ [ص] «الموت الجليل» أى يموت مُجاهدًا أو فى طاعة خليفة .
ويروى «الجميل»[٢]

١٩ أَهاشِمُ صارَ الدَّمْعُ ضَرْبَةَ لازِمٍ
وما كانَ لَوْلا أنتَ ضَرْبةَ لازِمِ

٢٠ أَهاشِمُ لِلحَيَّيْنِ فِيكَ مَصائِبٌ
حَوائِمُ مِنها فى قُلُوبٍ حَوَائِمِ

٢١ مَسَاعٍ تَشَظَّتْ [٣] فى المَواسِمِ كُلِّها
ولوْ جُمِعَتْ كانَتْ كبعضِ المَوَاسِمِ

---

(١) س : «فا مجده» .
(٢) هى رواية س ، وهى رواية غريبة .
(٣) قال فى اللسان (مادة شظظ) : أشظظتُ القوم إشظاظاً وشظظتهم شظاً إذا فرقتهم .

٢٢ لَيَوْمُكَ عندَ الأَزْدِ يَوْمٌ تَخزَّعَتْ
خُزَاعَةُ مِنها فى بُطُونِ التَّهَائِمِ

٢٢ – [ص] أى يوم وفاتك عند الأَزد فى الشِّدّة بمنزلة اليوم الذى تَخزّعتْ فيه خُزَاعة أى انقَطعتْ عن الأَزد فسُمِّيت فى ذلك اليوم خُزَاعة ، يقال تَخزَّع الشىءُ إذا تَكسَّر وتَفرَّق .

٢٣ وما يَوْمُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَه
علينا ولكنْ يَوْمُ عَمْرٍو وحاتِمِ

٢٣ – كأَنَّ هُلْكَك أَثَّرَ فى مساعيها وأَخلَّ بها .

٢٤ فَكَمْ مُلْحَدٍ فى يومِ ذلكَ [1] غانِمٍ
وكم مِنْبَرٍ فى يومِ ذلكَ غَارِمِ !

٢٥ لَئِنْ عَمَّ ثُكْلًا كُلَّ شىءٍ مُصَابُهُ
لَقَدْ خَصَّ أَطرافَ السُّيوفِ الصَّوَارِمِ

٢٦ تَسَلَّبتِ الدُّنيا عليهِ [2] فأَصبَحتْ
خَلائِقُها مِثلَ الفِجَاجِ القَوَاتِمِ

٢٦ – ويروى «فأَصبَحتْ حَدَائقُها[3]» و «تَسلَّبت» أى لبستْ السِّلاب ، ويقال إنها ثياب من جُلود كانت تلبسها النوائح فى المآتم ، ويقال نَوْح مُتَسلِّب يعنون بالنَّوْح النوائح ، وهو على مذهب قولهم تاجر وتَجْر .

(١) س : « فى ذلك اليوم » .
(٢) م : « عليك » .
(٣) هى الرواية فى س ، وعليها الشرح كما هو ظاهر .

و « الحدائق » جمع حديقة وهى أَرضٌ فيها نخل أَو عنب . و « الفِجاج » الطُّرق الواسعة . و « القَوَاتم » الغُبْر أُخِذت مِن القَتام وهو الغُبار .

٢٧ وما نَكْبَةُ فاتتْ بهِ بِعَظيمةٍ
ولكنَّها مِنْ أُمَّهاتِ العَظَائِمِ

٢٨ بَنِى مالكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خامِلَ الثَّرَى
قُبُورٌ لكمْ مُستَشْرِفاتُ المَعَالِمِ

٢٨ ـ أَى جَعَلتْ قُبورُكم الأَرضَ نَبِيهةً لأَنكم دُفنتم فيها .

٢٩ رَوَاكِدُ قِيسُ الكَفِّ مِنْ مُتَناوِلٍ
وفِيها عُلًى لا تُرتَقَى بالسَّلالِمِ

٣٠ قَضَيْتُم حُقُوقَ الأَرْضِ منكمْ بأَعْظُمٍ
عظَامٍ قَضَتْ دَهْرًا حُقُوقَ المَقَاوِمِ

٣٠ ـ « قضيتم حُقوق الأَرض » بأَن أَودعتموها نُفوسَكم ، و « المَقاوم » جمع مُقَام ، وكذلك القياس فى ذوات الواو كلّها إذا جُمِعت جمعَ التكسير وكانت فى وزن [مُمَات] يقال مَرَاد ومَراود ، ومَلَاذ ومَلاوذ .

٣١ خُدِعْتُ [١] لَئِنْ صَدَّقتُ أَنَّ غُيابَةً
تَكشَّفُ إِلَّا عَنْ وجُوهِ الهَيائِمِ

٣١ ـ « الغيابة » مثل الغَمامة ، أَى يكون هؤلاء القومُ فى الغيابة

(١) س : « خدعت » على الخطاب .

فتنجلى عن وجُوههم ، فيجوز أن يجعل تَجلِّيَها بالسُّيوف والأَرماح ، ولا يمتنع أن يجعل « التجلّى » مردودًا إلى الوجوه ، كأَنه قال لا تُكشف الغيابةُ إلاّ بوجوه هؤلاء ، وجعل « عن » قائمة مقامَ الباء ، وقال بعض الناس فى قوله تعالى : « ففسقَ عن أَمر ربِّه » أَى بأَمره ، وهذا المعنى كقول الآخر :

أَضاءَتْ لهم أَحسابُهم ووجُوهُم دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ

وجمع « الهَيَاثم » لأَنه جعلَ بنى الأَبِ يُقال لكل واحدٍ منهم هَيْثم ، كما قالوا الأَشاعر فى بنى الأَشعر والأَقارع فى بنى قُريع ، قال الفرزدق :

ثَلَثُ مَئِينَ لِلمُلوكِ وَفَى بهـا رِدائى وجَلَّتْ عن وُجوهِ الأَهاتم

يُريد بنى الأَهتم ، فجعل كلَّ رجل منهم يُوصف بذلك الوصف . ومعَنى البيت : إن صدّقتُ أَنَّ ظُلْمةً تنكشفُ إلاّبهم فقد خُدِعتُ .

٣٢ رَأَيتُهمُ رِيشَ الجَناحِ إذا ذَوَتْ [١]
قَوادِمُ مِنها أُيِّدَتْ [٢] بِقَوَادِمِ

٣٢ ـ أَى إذا مضت ريشة خَلَّفَتْ مكانها أَخرى .

٣٣ إذا اختَلَّ [٣] ثَغْرُ المَجْدِ أَضحَى جِلادُهمْ
ونائِلُهمْ مِنْ حَوْلِهِ كالعَوَاصِمِ

٣٤ فلا تَطلبُوا أَسيافَهُمْ فى جُفُونِها
فقَدْ أُسكِنَتْ بينَ الطُّلى والجَماجِمِ

---

(١) س : « إذا مضت » .
(٢) س : « نشرت » .
(٣) س : « إذا خاف » .

٣٥ إذا ما رِماحُ القَوْمِ فى الرَّوْعِ أُكرِمَتْ
مَشَارِبُهَا عاشُوا كِرَامَ المَطاعِمِ

٣٥ـ أى إذا سُقِيت الرِّماحُ من دماء المُلوكِ عاش أهلُها كِرامَ المَطَاعم فى حُسْن النشر عنهم .

٢٠٤

وقال يَرثى محمّد بن حُميد :

١ مُحَمّدُ بنُ حُمَيْدٍ أَخلقَتْ رِممَهْ
أُرِيقَ[1] ماءُ المَعالى مُذْ أُرِيقَ دَمُهْ

فى الأَول من البسيط .

١ ـ « الرِّمَم » تُستعمل فى العظام البالية والجِبال المخلقة .

٢ تَنَبَّهتْ لِبَنى نَبْهانَ يَوْمَ ثَوَى
يدُ الزَّمانِ فعَاثَتْ فِيهمُ وفَمُهْ

٣ رَأَيْتُه بِنجادِ السَّيْفِ مُحْتَبِيًا
كالبَدْرِ حينَ جَلَتْ عَنْ وجهِهِ ظُلَمُهْ

٤ فى رَوْضَةٍ قد عَلا حَافاتِها زَهَرٌ
عَلِمْتُ عندَ انتِبَاهى أَنَّها نِعَمُهْ

٥ فقُلْتُ والدَّمْعُ مِنْ حُزْنٍ ومِنْ فَرَحٍ
يَجْرِى وقَدْ مَلأَ الخَدَّيْنِ مُنْسَجِمُهْ

٦ أَلَمْ تَمُتْ ياشَقِيقَ النَّفْسِ[2] مُذْزَمنٍ؟
فقالَ لى : لم يَمُتْ مَنْ لم يَمُتْ كَرَمُهْ

٦ ـ أصل « الشقيق » الذى يُشاقّ الإنسانَ فى النسب ، كأَنَّ كلَّ واحدٍ منهما أَخذَ شِقًّا أى جانباً ونِصْفاً .

(١) م : « هريق . . . مذ هريق » . (٢) م ، ل : « الجود » .

٢٠٥

وقال يَرثى جَعْفرًا الطائىّ :

١ رَحِمَ اللهُ جعفرًا فلقَدْ كا
نَ أَبِيًّا شَهْمًا وكانَ رَحِيما

٢ مُثِّلَ المَوْتُ بينَ عَيْنيهِ والذُّلُّ
(م) فَكُلًّا رَآهُ خَطْبًا عَظِيما

٣ ثُمَّ سارَتْ بهِ الحَمِيَّةُ قُدْمًا
فأَماتَ العِدَى ومات كَرِيما !

فى الأَول من الخفيف والقافية متواتر .

٢٠٦
قافِيَة النُّون

وقال يَرثى بنى حُمَيد[١] :

١ اليَوْمَ أُدرِجَ زَيْدُ الخَيْلِ فى كَفَنِ
وانحَلَّ مَعْقُودُ دَمْعِ الأَعيُنِ الهُتُنِ

٢ بَنِى حُمَيْدٍ لوَ انَّ الدَّهْرَ مُتَّزِعٌ[٢]
لَصَدَّ مِنْ ذِكْرِكمْ[٣] عن جانبٍ خَشِنِ

فى الأَول من البسيط .

٢ – « المُتَّزِع » [المُفتَعِل] من وَزَعتُ الرجلَ إذا كففتَه ، يقال وزعتُه فاتَّزع كما يقال وزَنتُه فاتَّزن ، وهذه التاء الأُولى منقلبة مِن واو وهى التى فى قولك وزنتُ ووعدتُ ، وبعض العرب يقول مُوتزع ومُوتزن فيُظهر الواو ، فإذا نطقوا بالماضى قالوا ايتزعَ ، فإذا صاروا إلى المضارع قالوا يا تزع وياتزن فقلبوا الواو إلى الأَلف .

٣ إنْ يَنتَخِلْ حَدَثانُ الدَّهرِ أَنْفُسَكُمْ
ويَسْلَمِ النَّاسُ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

---

(١) فى س : يرثى قحطبة ، والبيت السادس وما بعده من المرثية يؤكد ذلك .
(٢) س : « مرتدع » .
(٣) س : « من عزكم » .

٤ فالمَاءُ ليْسَ عَجِيبًا أَنَّ أَعذَبَه
يَفْنَى ويَمتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ

٥ رُزْءٌ على طَيِّئٍ أَلقَى كَلاكِلَه
لا بَلْ على أُدَدٍ لا بَلْ على اليَمَنِ

٥ ــ «طَيِّئٌ» هو جَلْهمة بن أُدَدٍ، وله إخوة منهم الأَشعر الذى ينتسب إليه الأَشعرون ، ومالك وهو أبو مِذْحَج ، والحارث مِن ولده كِنْدة ؛ فخصَّ طيِّئاً فى أول كلامه ثم عَمَّ أُدَدَ كلَّها وجاءَ باليمن من بعد، وهذا اسم يشتمل كلَّ مَن وَلدَه قحطانُ بن عابر ، وإنما اليمنُ اسم البلد ثم صار الناسُ يقولون لمن حَلَّ بالشام من ولدِ قحطان هم من اليمن كاصطلاحٍ على ذلك .

٦ لَمْ يُثْكَلوا[1] لَيْثَ حَرْبٍ مِثْلَ قَحْطَبَةٍ
مِنْ بعدِ قَحْطَبَةٍ فى سالفِ الزَّمَنِ

٧ إِلَّا[2] تَكُنْ صَدَرَتْ عَنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ
حَرْبٌ[3] فَقَدْ صَدَرتْ عن مَسْمَعٍ حَسَنِ

٨ نِعْمَ الفَتَى غَيْرُ نِكْسٍ فى الجِلادِ ولا
لَدْنِ الفؤَادِ لَدَى وَقْعِ القَنَا اللُّدُنِ

٩ حَنَّ إلى المَوْتِ حتَّى ظَنَّ جاهِلُه
بأَنَّه حَنَّ مُشْتَاقًا إلى وَطَنِ

(١) م : « لم تثكلوا » .
(٢) م : « إن لم تكن » .
(٣) س : « فيه » .

١٠ وَلَّى الحُمَاةُ وأَضحَى عندَ سَوْرَتِهِ
مع الحَمِيَّةِ[1] كالمَشدُودِ فى قَرَنِ

١١ رَأَى المَنايَا حِبَالاتِ النُّفُوسِ فلَمْ
يَسكُنْ سِوَى المِيتَةَ العُلْيا إلى سَكَنِ

١٢ لَوْ لم يَمُتْ بينَ أَطرافِ الرِّماحِ إذًا
لَمَاتَ إذْ لَم يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحزَنِ

١٢ – المعنى أنه كان يكره أن يموتَ حَتْفَ أنفِه وعلى فراشه ، فلو لم يَمُتْ فى المعركة والرِّماحُ تَتناوله لمَاتَ من شِدّة حزنه أنه لم يمتْ كذلك ، لأن الموتَ على هذا الوجه يُعدّ فخرًا .

(١) س : « مع الحفيظة » .

٢٠٧

وقال يَرثى جارِيَةً له تُوفِّيت :

١ أَلَمْ تَرَنى خَلَّيتُ نَفْسِى وشانَها
ولَمْ أَحفِلِ الدُّنيا ولا حَدَثانَها ؟

٢ لقَدْ خَوَّفَتْنى النَّائباتُ صُرُوفَها
ولَوْ أَمَّنتْنى ما قَبِلْتُ أَمانَها

٣ وكيفَ على نارِ اللَّيالى مُعَرَّسى
إذا كانَ شَيْبُ العارِضَيْنِ دُخانَها !

٤ أُصِبْتُ بِخُودٍ سَوْفَ أَغبرُ بعدَها
حَلِيفَ أَسًى أَبكِى زَمانًا [1] زَمانَها

٥ عِنانٌ مِنَ اللَّذاتِ قَدْ كانَ فى يَدِى
فلمّا مَضَى الإِلْفُ استَرَدَّتْ عِنانَها

٦ مَنحْتُ الدُّمَى هَجْرى فلا مُحْسِناتِها
أَوَدُّ ولا يَهْوَى فُؤَادِى حِسَانَها

فى ثانى الطويل .

٦ ــ قد مَضَى ذكرُ « الدُّمَى » وأَنها فى الأَصل الصُّورة ، وأَنَّ النساءَ تُشبَّه بها ، ثم حُذِف لفظ التشبيه . و « المُحْسِنات » تقع على كلِّ مَن أَحسنَ مِن

(١) س : « أبكى بجهدى » .

النساء ، ولكن الطائىَ أراد بـ « المحسنات » جمعَ مُحْسِنة وهى التى تُجِيد الغناء ، ويجوز أن يكون هذا اللفظ مؤكّدًا .

٧ يَقُولونَ هَلْ يَبكى الفَتَى لِخَرِيدَةٍ
مَتَى ما أَرادَ اعتاضَ عَشْرًا مَكانَها !

٨ وهَلْ يَستَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمْسِ[1] كَفِّه
ولَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ اللُّجَيْنِ بَنَانَها ؟ !

(١) س : « من عشر كفه » .

٢٠٨

وقال يرثى عُميرَ بن الوليد :

١ كَفُّ النَّدَى أَضحَتْ بغيرِ بَنَانِ
وقَنَاتُه أَمسَتْ بغيرِ سِنانِ

٢ جَبَلُ الجِبالِ غَدَتْ عليهِ مُلِمَّةٌ
تَركَتْهُ وهْوَ مُهَدَّمُ الأَركانِ

٣ أَنعَى عُمَيرَ بنَ الوليدِ لِغَارَةٍ
بِكْرٍ مِنَ الغَاراتِ أَوْ لِعَوانِ

٤ أَنعَى فَتَى الفِتْيانِ غيرَ مُكَذَّبٍ
قَوْلى وأَنعَى فارِسَ الفُرْسانِ

٥ عَثَرَ الزمانُ ونائِباتُ صُرُوفِهِ
بِمُقِيلِنا عَثَراتِ كلِّ زَمانِ

٦ لَمْ يَتْرِكِ الحَدَثانُ يومَ سَطا بهِ
أَحَدًا نَصُولُ بهِ على الحَدَثانِ

٧ قَدْ كُنْتَ حِشْوَ الدِّرْعِ ثُمَّ أَرَاكَ قَدْ
أَصبحتَ حِشْوَ اللَّحدِ والأَكفانِ

٨ شُغِلَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ثُمَّ عيُونُهم
مُذْ مُتَّ بالخَفَقَان والهَمَلانِ

٩ واستَعْذَبُوا الأَحزانَ حتَّى إنَّهم
يَتَحاسَدُونَ مَضَاضَةَ الأَحزَانِ

١٠ ما يَرْعَوِى أَحَدٌ إلى أَحَدٍ ولا
يَشتَاقُ إنسانٌ إلى إنسانِ

١١ أَأَصَابَ مِنْكَ المَوْتُ فُرْصَةَ ساعَةٍ
فعَدَا عليكَ وأَنتُما أَخَوَانِ ؟ !

١٢ فَمَنِ الذى أَبقَى لِيَوْمِ تَكَرُّمٍ
ومَنِ الذى أَبقَى لِيَوْمِ طِعَانِ ؟

١٣ مَنْ يَدْفَعُ الكُرَبَ العِظامَ إذا التَقَتْ
فى مَأْزِقٍ حَلَقاتُ كلِّ بِطَانِ ؟

فى الثانى من الكامل والقافية متواتر .

١٣ – يقال فى المثل قد التقَتْ حَلْقَتَا البِطان إذا انتهى الأَمرُ فى الشدّة ، وهو مِثلُ قولِهم بلغَ الحُزَامُ الطُّبْيَيْن وبلغَ السيلُ الزُّبَى ، و « البِطان » كالحِزام فى الإبل ، وإنما قيل له بِطان لأَنه قد يكون تحتَ بطنِ البعير .

١٤ حَمَّالُ ما لَوْ حَلَّ أَصغَرُهُ على
ثَهْلانَ لا نهَدَّتْ ذُرَى ثَهْلانِ

١٤ – « ثَهْلان » جَبَل معروف ، ويُقال إنَّ اشتقاقَه مِن الثَّهلْ وهو الانبساط على وجه الأرض ، كأَنهم يريدون أَنه واسع . وهذان البيتان ليسا من رواية الصولى .

٢٠٩

وقال [١] :

١ إنى أَظُنُّ البِلى لَوْ كانَ يَفْهَمُه
صَدَّ البِلى عن بَقايا وَجْهِهِ الحسَنِ

٢ يا مَوْتَةً [١] لم تَدَعْ ظَرْفًا ولا أَدبًا [٢]
إلّا حَكَمْتِ بِهِ لِلَّحدِ والكَفَنِ

٣ لِلهِ أَلحاظُهُ والمَوْتُ يَكْسِرُها
كأَنَّ أَجفانَه سَكْرَى مِنَ الوَسَنِ

٤ يَرِدُّ أَنفاسَه كَرْهًا وتَعْطِفُها
يَدُ المَنِيّةِ عَطْفَ الرِّيحِ لِلغُصُنِ

٥ ياهَوْلَ ما أَبصَرتْ عَيْنى وما سَمِعتْ
أُذْنى فلا بَقِيتْ عَيْنى ولا أُذُنى!

٦ لم يَبْقَ مِنْ بَدَنى جُزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ
إلَّا وقد حَلَّه جُزْءٌ مِنَ الحَزَنِ

٧ كانَ اللَّحاقُ بِهِ أَولَى وأَحسنَ بى
مِنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ الرُّوحِ والبَدَنِ

فى أول البسيط .

(١) وردت هذه المرثية فى آخر باب الأوصاف فى نسخة من شرح التبريزى ، ولم ترد فى نسخة م بشرح الصولى ، ويظهر أنها فى رثاء ولد له صغير .

(٢) ل : « ولا حسناً » .